محمد الحلواني

دار القبس

قصة ليلة غزو دمشق

قصة

ليلة غزو دمشق

تأليف :

محمد الحلواني

الإصدار الأول 2021

عدد الصفحات القياس 14.5*21.5

Isbn: 978-9933-9287-7-3

جميع الحقوق محفوظة

دمشق * سوريا

00963955769145

Kabas97@hotmail.com

الإهداء

إلى والدتي الحبيبة ، زوجتي الغالية ، عائلتي العزيزة ، أبنائي ، وأحبائي جميعاً على طولِ دربي في الحياة ، وإلى أغلاهم "الرجل الفاضل" الذي سرقه مني مرض السرطان وغيبه عني البعاد ، من أنهكته الحياة في تربيتي وأفنى عمره مغترباً بين البلاد ، إلى قدوتي القدير وأستاذي الجليل ، من أرجو أن لا يطول شوقي إليه ومن أرتجي إليه قرب المِعاد ، **"والدي"** الغائب الحاضر .. الجميل حتى في لحدِ الرُقاد ، وإلى **"دمشق"** التي رفضت على مر العصور أن تُذل من الأوغاد ، وإلى الجيل الذي سيولد غداً من الأحفاد ، إلى كل باحث عن الصمود في وجه الشرور والأحقاد ، وإلى كل قارء يحمل الآن روايتي هذه ، أهديكم روايةً :

" كتبت بماء العيون ورفات الأجساد"

"شكر"

لله رب العالمين أولاً الذي بفضله أتممت كتابة هذه القصة ، ثمَ لجهود السادة :

1- أ./ فايز كمال – مدير دار القبس للنشر والتوزيع .

2- أ./ مؤيد بيطار –خريج أدب إنكليزي ومدرس في الجامعة العربية الدولية .

المقدمة

دمشق إحدى أقدم مدن العالم مع تاريخ غير منقطع منذ أحد عشر ألف عام تقريبًا وأقدم عاصمة في العالم كانت تسمى قديماً بأرض بني كنعان حين لحق قوم من بني كنعان بن حام بالشام ، سُميت دمشق بالشام لأنهم تشاموا إليها ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها ونفوهم عنها ، فكانت الشام لبنو إسرائيل ، ووثبت الروم على بني إسرائيل فقتلوهم وأجلوهم إلى العراق إلا قليلاً منهم وجاءت العرب فغلبوا على الشام، كما ساد الإعتقاد بأن الكلمة مشتقة من إسم أحد أحفاد النبي نوح دَمَاشِق أما غالب المؤرخين الذين أعادوا اللفظة لكونها سريانية، أو لاتينية، لا العربية، فيرون أنه إشتق من كلمة دُومَسْكَس بمعنى المسك أو الرائحة الطيّبة، فيما يَرى آخرون أنها سُمِّيت تيمناً بالقائد اليونانيّ دماس الذي أسَّسَ المدينة تعرف دمشق في اللهجة السورية بإسم الشام ؛ أما أكثر ألقابها شهرة فهي، مدينة الياسمين، وجُلّق، والفَيحاء، إلى جانب عدد من الألقاب الأقل إنتشارا مثل دُرة الشرق، شامة الدنيا، شام شريف والتي كانت منتشرة بشكل رسمي خلال سوريا العثمانية .

المشهد الأول

المملكـة العربيــة الســورية

صباح السادس من أيار1916م

حل الليل وسكن السلام "دمشق" مدينة الياسمين تلك المدينة البهية التي كانت أضواء فوانيسها المعلقة تضفي على حاراتها الدمشقية العريقة رونقاً خاصاً من الأناقة والجمال الذي يبعث السرور في النفس والطمأنينة في قلب كل من يمر بين حاراتها الدمشقية العتيقة وأزقتها سواءاً كانَ مرورهُ مشياً على قدميه أو بعربته منتقلاً بين أحجارها الأثرية الكبيرة وجدران بيوتاتها البسيطة التكوين ، وأما الياسمين الدمشقي فكان يملئ دمشق بأكملها من الحب والدفئ ليبث الأنس والسكينة في روح كل من عشق الجمال وتغنى به إلى درجة أنهُ مِن شدة سحره بدمشق قد يخيل إليه بأنه يمشي بجوار حبيبته التي لطالما إنتظرها طوالَ عمرهِ وهو يمسك يدها أثناء مشيهما معاً وهما يستنشقان عطرها الفواح ونسماتها الندية ، بل إن الناظر إلى تلك البيوت من الخارج قد يغفل عن سر الجمال الداخلي المكنون في أعماقها من شدة جمالها وفتونه بألقها وزينتها ، وأما البيوت فمن الداخل كانت تحتوي على الكثير من الزخارف والنباتات العطرية المختلفة ، وأما أشجار الليمون التي تحف برك الماء الصغير والنوافير فقد كانت أجمل ما فيها وأصص الورد برفقتها ، بل إن من أبرز ملامح البيوت الدمشقية التقليدية هي الدار السماوية وبركة المياه والإيوان التي جاءت نوافذها

وشـرفاتها مفتوحـة علـى الخـارج نسـبة للطـراز المعمـاري الاوروبـي والايطـالي في القـرن التاسـع عشـر ، هـذهِ دمشـق مدينـة الياسـمين وهكـذا كانـت ، لكنهـا لـم تكـن كـذلك في إحـدى ليـالي دمشـق الحالكـة السـواد بـل كانـت كـ: **"كُـلُ الأشـيَاءِ الجَميلـة في الحيَـاة لابُـد أن يَزورهَـا الحُـزنُ ويَهُزُهـا البُكـاء ، ذَلـكَ لأنَ الحيـاةَ ليسَـت جَنَـةً بهـا يَتَحقَـقُ لنَـا دائمـاً مَـا نَشَـاء ، بَـل هِيَ أيـامٌ مُسـافِرة ، تَرحـلُ بِنَـا مُسـرِعةً .. بَـينَ وَداعٍ وَلِقَاء"**

حـان وقـت آذان الفجـر وأذن مـؤذن الجـامع الامـوي بصـوته الشـجي الـذي أيقـظ أهـل الجـوار ككـل يـوم لأداء فريضـة صـلاة الفجـر بصـوته الجميـل الـذي يبعـث الإيمـان والأُنـس في نفوسـهم ، إلا أن هـذا الجمـال لم يكتمل عندما وصل المؤذن في آذانه الى عبارة :

"الصلاة خير من النوم"

صـمت بعـدها قلـيلاً محتبسـاً في رئتيـه شـهيقاً عميقـاً مطـولاً كـاد يمـزق شـرايينه واحـداً تلـو الآخـر جـراءَ حشـرجةِ أنفاسـهِ التي شـابهت أنفـاس المحتضـر وهـو يكتمهـا عنـوةً وربمـا هـذا هـو السـبب الـذي منعـهُ مـن الاسـتمرار في صـمته لاحتبـاس دموعـهِ ومشـاعره المتألمـة طـويلاً ودفعـهُ للإنهيار باكياً ، متمماً آذانه بنبرةٍ غمرها الأسى :

- الصلاة خيرٌ من النوووووم .... (قهقهة بكاء) .... الصلاة خيرٌ من النوووووم ... الله اكبر الله أكبر .. لا إله إلا الله.

ما من أحد ذاك الصباح سمع صوتَ المؤذنِ الباكِ إلا ودبَ الخوفُ في قلبه ووقع وقوعاً مؤلماً بين حناياه كوقوع الحجر من أعالي قمم الجبال الشاهقة ، تاركاً سؤالاً جاداً في أذهان السامعين حينها عن سبب بكاء هذا المؤذن الجليل بهذه النبرةِ الموجعةِ للقلب والدامية للعين والروح ، فَجَت تلك النبرة قلوب أهل دمشق اللذين نهضوا قلقين وخرجوا من بيوتهم معاً بتلهف لأداء صلاة الفجر ولقاء الشيخ الإمام ، صلى الرجال والناس صبح ذاك اليوم في مساجد أحيائهم البسيطة كقلوبهم الطيبة تاركين بيوتهم بأمان الله وحفظه وهم مؤمنون بأن بيوتهم كانت تغلق ابوابها على خيرٍ وجود ، إنتهى إمام المسجد من صلاته التي طالت على غير المعتاد وسوءُ الأمرِ يبدو في مُحيا الإمام الذي سبق سلامه الأخير حزنه ، الجلي في نبرة صوت الإمام الخشنة المتماسكة تلك هي عقدة حاجبيه العريضين المملوئيتن بالشعر الأسود ، إلتف الإمام بوجهه على كتفه الذي حمل همَ المصاب الجلل على دمشق وأهلها وأنهى الصلاة قائلاً :

- السلام عليكم ورحمة الله .. السلام عليكم ورحمة الله

أقبل أهل الحي إلى الإمام الطاعن في السن ، ملتفين حوله وهم في جلوسٍ قلِقٍ يرى بوضوح في أعينهم المستيقظة التي لم يغادرها طيب المنام ، سألوه عن سبب حزن وجهه المجعد وعينيه الدامعتين فطلب الامام منهم بكلمات معدودة جداً الإصغاء له ونهض من مكانه بضعفِ شيخٍ كبير ، متجهاً الى مئذنة المسجد ليعلن البيان الثقيل على مسامع الناس بخطوات مثقلة بالاسى كذبيحة تساق الى موتها الأخير ، نظر إليهم منكسراً وهو يفتح بحرقة فؤاده ورقةً طويلة إستلها من جيب معطفه الداخلي بحركة بطيئة لم تبشر بخير مطلقاً ، ثم نادى فيهم :

يا أهل دمشق .. بيان من الحكومة العثمانية في بلاد الشام:

" بإسم الشعب وبإسم الحكومة العثمانية في بلاد الشام قرر حاكم البلاد جمال باشا ما يلي :

أولاً : إدانة كل من المتهمين الواردة أسمائهم أدناه بجناية التخابر والجاسوسية مع الإستخباراتِ البريطانية والفرنسية من أجل التخلص من الحكم العثماني وإلحاق الأذى به ، والعمل للإنفصال عن الدولة العثمانية وإسقاطها من قبل المتهمين وهم:

1. شفيق بك مؤيد العظم - (شاعر وأديب)
2. عبد الحميد الزهراوي - (صحافي)
3. الامير عمر الجزائري - (حفيد الأمير عبد القادر الجزائري)

4. سليم الجزائري – (عالم ومفكر)
5. شكري بك العسلي – (أديب وسياسي)
6. عبد الوهاب الإنكليزي – (سياسي)
7. رفيق رزق سلوم - (شاعر)
8. رشدي الشمعة – (كاتب)

ثانياً : تجريمهم بجرم الخيانة العظمى للدولة العثمانية والحكم عليهم من حيث النتيجة بالإعدام شنقاً حتى الموت قراراً وجاهياً غير قابل للطعن عن طريق النقض او الاستئناف وينفذ هذا البيان في الساعة السابعة من صباح اليوم .. صدر وأفهم علناً"

الحاكم جمال باشا - حاكم بلاد الشام

ضجت دمشق بأكملها غضباً ، واشتاط جنون الشباب وأهل الحي ، انفجرت حناجرهم بالهتاف كالبركان في ذلك اليوم الأسود عند سماعهم هذا الخبر المدوي الذي كان وقعه ثقيلاً وقاسياً جداً على دمشقَ وأهلها ، كانت تلك القافلة من الشهداء هي أكبر قافلة تساق للإعدام حينها ، نُصبت المشانق في ساحة المرجة بدمشق من قِبَل العثمانيين وبدأ الغليان الشعبي والغضب الدامي في الساحة العربية والسورية يسيطر أكثر فأكثر ، بينما كان المحكومون بالإعدام في سجونهم الظلماء جالسين على أرض السجن الباردة المصنوعة من

الإسمنت الغير ممهد وهم يتهامسون فيما بينهم ، كان قهر آلمهم أكثر بكثير من ألم العنف والدماء التي ملأت وجوههم النقية والمرهقة :

- المحكوم (1) : يا ترى رح نطلع من هون؟

- المحكوم (2) : يمكن تكون هي آخر ليلة إلنا هون وبعدها يطالعونا أهل الشام وينقذونا.

- المحكوم (3) : ويمكن تكون آخر ليلة إلنا بالحياة وما يطالعنا حدا .

- المحكوم بالإعدام (1): أستغفر الله العظيم .. ليش هيك عم تتشائموا إنتوا .. أهل الشام مستحيل يتركونا .

نهض المحكوم الأول من مكانه بقلق وهو يحك شعره باصابعه المدماة عند جانب رأسه الأيمن مفكراً وقائلاً : مستحيل هالكلام .. أهل الشام مارح يتركوني موت ويتفرجوا علينا ، شو هالحكي هاد !!

- المحكوم بالإعدام (3) : خلص .. حتى لو حكمونا إعدام ، اللي صار صار والشام شامنا وهي روحنا ودمنا ونحنا مالنا ندمانين لو استشهدنا كرمالها.

بكى المحكوم بالإعدام الثاني أمامهم وانهارت صلابتهُ المتماسكة واستسلم لخوفه الطبيعي والمشروع من رهبة الموت وقسوته وهو يتخيل كيف سيكون رحيله عن هذه الحياة ، فيما حاول المحكومون الباقون بث العزيمة والثبات في نفس صديقهم ونفوسهم كذلك قائلين :

- المحكوم بالإعدام (1) : شبك .. شد حيلك .. ليش كل هالبكي متل النسوان .. رجال إنت ولا مو رجال .. إنت مو أول شهيد بهالحياة .. ولا رح تكون آخر شهيد .. وكلنا رح نموت بس نحنا عم نموت بشرف وكرامة .. أوعك تموت ندمان .

- المحكوم بالإعدام (2) : مو ندمان .. بسسسس قلبييي منقبضض ، حاسس انه هاد آخر يوم بحياتي ، حاسس إنه الموت عم يجي لعندي ويقرب أكتر وأكتر .. حاسه ماددلي إيديه وعم يخنقني شوي شوي .. خايف من الموت إي .. بس خايف ع الشام أكتر .

- المحكوم بالإعدام (3) : تماسك .. ولا تخاف ع الشام ، الشام إلها أهلها والشام شامنا لو الزمن ضامنا ، تماسك يا رفيقي .. وإلا ما نطلع من هون .. رح نطلع .. أكيد .

هز المحكوم الثاني رأسه حزيناً فيما جلس المحكوم الأول كالباقين يفكر بعمق عن مخرج ما تنقذه من حبال المشنقة ودموع الكرامة والعزة في عينيه تمطران بعفوية ، لم يتمالك نفسه إحتضن خليليه إلى كتفه يمينا ويساراً يقيناً منه بأنهم سيكونون شهداء في الصباح لا محالة .

حاول الدمشقيون آنذاك جل ما في وسعهم لثني العثمانيين عن تنفيذ حكمهم أو تأجيله على أقل إحتمال للحصول على فرصة

أخيرة قد تساعدهم على تدبر الأمر مع السلطة العثمانية إلا أن السلطة العثمانية أحكمت أمرها جيداً متخذة جميع السبل والوسائل التي ضمنت لها تنفيذ حكمها ونفاذه دون أي عقبات او مفاجآت.

وسيق المتهمون إلى نصبِ المشانق في سلاسل قيدت أجسادهم النبيلة وأيديهم البيضاء وهم يمشون بأرجلهم الحافية إلى المشانق إستعداداً للرحيل ومغادرة هذه الحياة إلا أن ذكراهم ظلت باقية لم تقيد ولم تعدم على طول التاريخ ومرور العصور بل ظلت منارةً تنير للأجيال التي جاءت من بعدهم.

ثارت جموع الناس أثناء تغطية الجنود العثمانيين لوجوه المحكومين بالإعدام ، بكت النساء بمرارة ونحيب وحاول كل الشيوخ العودة الى قواهم التي خانتهم فلم تسعفهم في الوصول إلى حبال المشانق الغليظة لانقاذ الارواح التي باتت تفصلها عن الموت ثوانٍ قليلة ، كانت خيانة عظمى لأرواح أهل الشام فحتى الشباب خانتهم قوتهم وجعلت ثورة غضبهم أضعف من التقدم بخطوة واحدة يمكن لها أن تفك قوة الجدار البشري الذي أعده الجنود العثمانيون محاصرين به ساحة الإعدام ، ضج صراخ المدينة بأسرها ، وفاضت عيون الحاضرين بلا إرادة ، حتى الأطفال كانوا يرجون من والديهم انقاذ المعلقين على نصب المشانق إلا أن أولئك الرجال المنتظرون قدماً

واحدة تدفعهم إلى النهاية كانوا هم الأشد قوة بين جميع الحضور ، فثبتوا دون إهتزاز وهم يسمعون صوت الجنرال جمال باشا وهو يأمر بتنفيذ الحكم فيهم بوجه حازم :

" إيجرا ICRA -إعدام "

نطق الشهداء الشهادة ، ونفذ الحكم الذي كان كفيلا بأن تخلده كتب التاريخ الدمشقي والعربي بسقوط اجسادهم المنتفضة في حبال المشانق الى الاسفل صاعدة بأرواحهم الطاهرة الى بارئها سبحانه وتعالى معلنة شهادتهم ، ونفذ حكم السلطة العثمانية بأمر من جمال باشا .

إستشهد في ذلك اليوم الأسود ثمانية من الرجال كانوا من خيرة رجال دمشق ومن كبار المثقفين والقوميين السوريين وأشرفهم نسباً فأناروا بأرواحهم المعدمة من من فوهات المشانق القاتلة تاريخ دمشق والأجيال القادمة .

وبالطبع ترك هذا الحكم في نفس الامير فيصل بن الحسين الكثير من الحزن والغضب ، فغضب غضبا شديداً لم يكن له نهاية وهو المعروف بين العرب بمروئته وغيرته وعروبته فلم يكتم غضبه ، وسرعان ما إتخذ قراره بجمع حشد شعبي وعسكري لمواجهة

العثمـانيين والحـرب معهـم مـن أجـل إجلائهـم عـن الأراضـي السـورية ، فـإنطلق مسـرع الخطـى علـى صـهوة جـواده الأصـيل متجهـاً إلـى مكـة قادمـاً مـن أرض الحجـاز لمخاطبـة جمـوع الشـعب مـن عامتـه وخاصـته لضـمهم حولـه ومطالبـا إيـاهم بـدعم الثـورة السـورية التي أراد لهـا أن تـنهض بسـوريا لإجـلاء الإحـتلال العثمـاني عـن أراضـيها ، لاسـيما وأن عمليـات الإعـدام التي قادهـا جمـال باشـا لـم تتوقـف عنـد هـذا الحـد بـل واصـل جمـال باشـا هـذه السياسـة الداميـة خـلال سـعيه لإجهـاض الحركـة القوميـة العربيـة بكـل مـن سـوريا ولبنـان وإقتـاد المزيـد مـن المثقفين نحو حبال المشنقة .

" بإمكـانِ الشَـر أن يَـزرع الخَـرابَ ويَنشُـرَ الـدمَار ، أن يَهـدُمَ مَـا بَنَـاهُ الخَيـر ويَنثُـر الأعـذَار ، لكِـن مُحـالُ عليـه أن لآ يجنِي الحصِـيدة وأن يُخفِيَّ الأسرار ، لآ يُمكنُ لِلشر .. أن يُفنيَّ الأزهَار"

السادس عشر من أيار 1916م

لم تكن هذه الليلة التاريخية في مفصل حياة العرب ومستقبلهم أقل خطورة وأهمية من سابقاتها ذلك يعود للقاء الدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو بنظيره البريطاني الدبلوماسي مارك سايكس في جلسة مفاوضات عقدت بسرية للغاية على حين غرة وربما في غفلة من العالم أجمع لدراسة المخطط التقسيمي لدمشق وباقي بلاد الشام والمدن السورية .

- فرانسوا بيكو : بإسم الحكومة الفرنسية أرحب بك مسيو مارك وأتمنى أن تنتهي مفاوضاتنا السرية هذه بإتفاقات تصب بالفائدة لمصلحة حكومتينا .
- مارك سايكس : وأنا بإسم حكومة بريطانيا أتقدم إليك بالشكر وأنقل إليك رغبة حكومة بريطانيا في التعاون المشترك بيننا من أجل تحقيق مصالح حكومتينا وشعبينا .

تصافح الحليفان معاً ، وتم فتح خارطة الأراضي السورية وبلاد الشام ودراستها من شرقها إلى غربها بدقة من قبل الدبلوماسيين المتواجدين حينها ، جرى البحث عن أفضل الوسائل والإمكانيات لتقسيمها بعد حوارات استمرت لعدة ساعات ثم تم الإتفاق في

النهاية على قرارٍ واحد تم إعتماده والموافقة عليه من الجانبين الفرنسي والبريطاني :

- مارك سايكس : نحن مستعدون للإنسحاب من سوريا كما أخبرتك ولكن نريد للموصل أن تخضع لسيادتنا .. ومبارك عليكم سوريا .

- فرانسوا بيكو : ونحن نتعهد لكم بضمان حصول سوريا على إستقلال واسع يؤمن لأهلها حريتهم .. مبارك عليكم الموصل مسيو مارك .. وشكراً لك

- مارك سايكس : شكراً لك مسيو فرانسوا

تصافح الدبلوماسيين الفرنسي والبريطاني سوياً ، وسرعان ما أعلنا معاً عن صدور معاهدة سايكس بيكو .

نصت المفاوضات السرية بين الدبلوماسي الفرنسي فرانسوا جورج بيكو والبريطاني مارك سايكس على إحتلال بريطانيا للموصل ثم أضيفت على معاهدة سايكس بيكو تعديلات لمصلحة إنكلترا حيث اعيدت الموصل التي كانت من نصيب فرنسا إلى السيطرة الإنكليزية فقاموا بإحتلالها بتاريخ 7 تشرين الثاني 1918 في حين إكتفت حكومة فرنسا بالبلاد الباقية بسوريا متعهدة للإنكلترا بأن تضمن لها إستقلالا واسعا يؤمن لأهلها حريتهم وسعادتهم .

العاشر من حزيران 1916م

وصل الأمير فيصل إلى مكة خلال أيام والتقى بأهلها وشيوخها لإتمام خطته التي كان قد تجهز لها طويلاً :

- الأمير فيصل : سمعتوا حكم الإعدام اللي نفذه جمال باشا بدمشق وبيروت وإنتو عارفين خطورة الوضع والمرحلة الحالية علينا وعلى المنطقة بأكملها ، نحنا لازم يكون إلنا موقف من اللي عم يصير لا يمكن نسكت عن الأفعال اللي عم تمارسها السلطة العثمانية على شعبنا واهلنا .

- رجل من أهل العشائر : حنا لا يمكن نسكت عن هذا الضيم ، حنا ورجالنا وربعنا وكل شي نملكه ملك إيدينك يا سمو الأمير فيصل ، الأمر أمرك والشور شورك ، أمرك علينا طاعة .. وواجب علينا التنفيذ يا سمو الأمير .

- رجل آخر من أهل العشائر : وانا هنا امام شيوخ مكة أعاهدك بإن نفسي ومالي وهلي وحلالي وكل شي ملكني فيه ربي فدوة لله ورسوله وإخوتنا العرب يا سمو الأمير .

- الأمير فيصل : الحمد لله رب العالمين ، بارك الله فيكم جميعاً ، الحمد لله اللي أكرمني بدعمكم لي ووقوفكم معي ومع اهل دمشق ، اسأل الله تعالى وهو ربي المعونة والقوة لإجلاء المحتل العثماني عن أراضينا بالكامل وأرجوا أن يمنحني الله

عزوجل الحكمة والقدرة على حمل الامانة والعزة حتى نصرة ثورتنا وإسترداد أراضينا والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر .

هتف الجميع بعد نهوضهم من مجلسهم تكبيراً وحمداً ووقف الأمير فيصل بين الناس مشهراً بندقيته للأعلى مسدداً من بندقيته المشرئبة إلى الأفق أولى الطلقات التي أعلنت بداية ثورة العرب على الحكم العثماني في سوريا .

لاقت ثورة الأمير فيصل ترحيباً وقبولاً جماهيرياً عريضاً شجعه على إكمال مسيره إلى العقبة ، فلم يتباطئ وإنتقل متوجهاً إليها رغبة في الاجتماع مع شيبها وشبانها اللذين منحوا الامير فيصل دعمهم الكامل وإلتزامهم التام بتنفيذ جميع ما يطلبه منهم بلا تردد .

إستغرقت ثورة الأمير فيصل بضعة شهور لإنطلاقها ضد العثمانيين تلقى خلالها الدعم أيضا من الجيش البريطاني الذي قدم له الدعم الكامل حتى إشتدت نيران ثورته إثر انضمام الكثير من رجال القبائل في أصقاع البلاد لثورته مما أمكنه من إعداد العدة والعتاد الكافيين لبدء هجومه العسكري على الحكومة العثمانية وجنودهم في أراضي البلاد السورية .

تركيا - 1917م

وعلى المحور الآخر هناك في تركيا وقف الجنود السوريين والجنود العثمانين معاً على حدٍ سواء في صعيد واحِد ضمن إحتفال كبير ومهيب تقدمته العربات والمدفعيات وآليات الحرب ضمن استعراض عسكري ضخم إستمر لساعات وساعات ، أُعلن في ختامه الجيش العثماني بخطاب حماسي مؤثر عن مستجدات الأحداث بلسان متحدثه العسكري قائلاً :

"وإننا من منطلق حرصنا على وحدة البلاد وسلامة أراضيها ندعو جميع شرائح الشعب للتكاتف مع دولتنا العثمانية ، كما أننا نعلن في خطابنا هذا عن ترفيع الضابط يوسف العظمة من منصبه كرئيس أركان الحرب للفيلق التركي الأول إلى مساعد للمفتش العام في الجيش العثماني برفقة الضابط أنور باشا من أجل الذود عن الوطن وحماية مقدساته "

عين يوسف العظمة مساعداً للمفتش العام بعد أن دافع عن مضيق "الدردنيل" وهو ممر مائي دولي يربط بحر إيجة ببحر مرمرة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وحدوث الهدنة .

" في حيَاةِ كُلِ إنسَان لابُد مِن لحظَةٍ كصَعقة تَصفَعُنا فِيهَا الحيَاة وتَنقَلبُ بِها علينَا تَمَامَاً لا تَعودُ بَعدَها لِما كانَت علَيه ، أمَا نَتِيجَةُ هَذا التَغِيير فَيُحدِدُهَا جَوهَرُ الإنسَان ومُعتَقَداتُ فِكرِه"

يوسف العظمة

وإسمه الكامل يوسف بن إبراهيم باشا آل العظمة قائد عسكري سوري ولد في حي الشاغور الصمادية بدمشق في 9 نيسان من عام 1884م متزوج من فتاة تركية تدعى منيرة أنجب منها إبنته ليلى التي بلغت الآن حينها خمس سنوات فأسماها يوسف العظمة "ليلى" على إسم والدته "ليلى الشربجي" تيمنا بها .

بقي "العظمة" في تركيا إلى أن سمع بتشكيل الحكومة العربية في دمشق، فإستقال من منصبه في الجيش التركي وإلتحق بالجيش العربي بعد إلتحاقه بالجيش العربي الفيصلي ، عيّن "العظمة" كضابط إرتباط في بيروت ، إستخدم الشيفرة لأول مرّة في مكتب الحكومة العربية حينها آنذاك .
وعلى الطرف الآخر هناك وجِد رجلٌ آخر من الرجال العراقيين النبلاء يدعى "تحسين قدري" الذي ترك إسمه بصمة خالدة في مدينة دمشق وتاريخها .

تحسين قدري

دبلوماسي عراقي من أصل سوري عمل فترة طويلة في البلاط الملكي العراقي ، ولد في بعلبك عام 1894م وكان شقيقه الدكتور أحمد قدري طبيبا للملك فيصل الأول .

غامر تحسين قدري بكل شيء وهو في الناصرة ، في مقر الأركان الحربية ، وتحديداً في شعبة الحركات حيث حصل على كل البيانات العسكرية للجيش العثماني ، والبيانات المسجلة عن جيش الأمير فيصل بن الحسين المعروف بجيش الشمال ، وعن قوات البدو في الحجاز ، وكان عليه أن يعود متخفياً إلى دمشق ، وأن يبدأ رحلة المغامرة بكل شيء ليصل إلى أخيه الدكتور أحمد ، ويبدأ مع رفاق الجمعية العربية الفتاة رحلته إلى جيش الشمال ، إلى الأمير فيصل بن الحسين والذي يقيم بجيشه بين معان والعقبة في موقع أبي اللسن في رحلة مخاطرة وليست مغامرة وحسب ، هذا ما يحس به أي قارئ وهو يتابع مخاطرة تحسين قدري الذي ركب القطار العسكري صباح ذاك اليوم البارد وهو لا يحمل أوراقاً رسمية تخوله من السفَر بلا إجازة وهو يصطحب معه رفيقه الجندي الأنطاكي .

إتطلع تحسين قدري على الأسرار العسكرية للجيش العثماني دون إذن من مسؤول رسمي يخوله بذلك فكان بحق رجلا مخاطراً من الطراز الأول

ومغامراً بروحه وموقعه العسكري وحياته كلها !! نعم كان تحسين قدري مخاطراً ومغامراً جريئاً جرأة لا تكون إلا لرجل فَذ ولروح عسكري يعشق دمشق ويغامر لأجلها بحياته دون أن يخشى الموت من أجل نصرة قضية وطنه التي كانت بالنسبة له أكبر من كل القضايا .

مضى تحسين قدري في تلك الرحلة المصيرية في قطار عسكري وهو يحمل صندوقاً يحوي على جميع الأسرار العسكرية التي غامر لأجلها بحياته في رحلته بالقطار العسكري من الناصرة إلى دمشق.. إذاً !! كم من المحطات سيمر فيها القطار العسكري ؟ وكم من نقاط التفتيش سيمر بها تحسين قدري تحديداً ؟ وكيف سيتدبر الأمر لو تم إلقاء القبض عليه ؟ وما هي فرصته في النجاة إن إستطاع الهرب ؟ عشرات الأسئلة التي شغلت ذهن ذلك الرجل المخاطر الجالس بوقار على كرسيه وهو يرتدي بزته العسكرية ، أول ما قام به تحسين قدري حينها أنه أخفى إشارة الضابط من على رداء كتفه مع بدء تحرك عجلات القطار وإستدارتها كفيلم سينمائي يتحرك بمشاهده أمام عينيه رويداً رويدا ، (قطار عسكري وركابه من العسكر العثماني يحمل على متنه رجلاً يخفي هويته ولكن ماذا لو كشف أمره ؟) يبدأ هذا الفيلم السينمائي الذي دار بلمحة في عقل تحسين قدري بمشاهد متتابعة بدءاً من صعودهِ ورفيقه الجندي الأنطاكي إلى المقصورة ثم نزع شارة الضابط والجلوس ثم رسم ملامح الهدوء المصطنع ثم حضور العسكرووقوع الكارثة .. هذا بالتحديد ما كان عليه حال تحسين قدري .

كانت مشكلته الوحيدة أنه معروف في المحطات التي سيمر منها القطار ، معروف في محطة عمان ، ومعروف في محطة درعا حيث قضى وقتاً طويلاً في خدمته العسكرية هناك عندما كان مرافقاً لحسني باشا قائد درعا ، وبالتالي فبالتأكيد أن مرافق القائد العام في درعا كان معروفاً أيضاً في المحطة وللأهالي على السواء ، فما كان على تحسين قدري إلاّ أن يخفي نفسه عند المرور بهذه المحطات خوفا من الشرطة العسكرية المعروفة ب « قانون جاووش « .

حالف الحظ تحسين قدري إلى أن وصل محطة القدم ، وكان عليه أن يتخذ قراراً سريعاً وبلا تراجع .. عليه الآن في محطة القدم أن يقفز من القطار مهما كانت النتائج ولا مفرّ من ذلك .. ولكن ما الذي سيحدث للصندوق الذي أخفى فيه تحسين قدري المعلومات العسكرية الثمينة التي غامر بروحه وحياته من أجلها ..؟ فكر تحسين قدري ملياً ثم أوصى مرافقه الجندي الأنطاكي أن يكتم الأمر ، ويأخذ الصندوق إلى عيادة شقيقه الدكتور أحمد قدري في الشابكلية بالقنوات وإعترف له الجندي بأنه هو الآخر سيفر من الجيش العثماني ، وأنه قرر أن يبقي متخفياً في خدمة الدكتور أحمد قدري ، كما أخذ الجندي الانطاكي كل شيئ ولم يبق في حوزة تحسين قدري سوى أوراقه السرية ومسدسه الألماني " باربالوم ".

توجه مرافقه الجندي برعب وهو يسير مع تحسين قدري إلى مقدمة عربة القطار ، والقطار يتجه نحو محطة القدم ، وحانت اللحظة الصعبة .

يقول تحسين قدري : (قبيل دخول القطار ووصوله إلى محطة القدم ، رميت بنفسي في حقل من القمح ، وأذكر أنه كان في شهر مايو ، ورغم التمارين العسكرية التي كنت أمارسها ، فقد شعرت أن جسدي تضعضع من صدمة الهبوط ، وكان الكثيرون من الجنود ينظرون إلي باستغراب ، ورغم صعوبة المشي والحركة بعد السقوط على الأرض ، فقد أسرعت بالمشي والتخفي بين الزرع ، ثم نظرت خلفي ، وماذا رأيت ؟ رأيت شرطياً عسكرياً يهبط مسرعاً بعد قفزي من القطار ويلاحقني .. !! وعندما قلت في نفسي :

- لا مهرب من إستعمال السلاح إذا أراد أن يلقي القبض علي لأنه حينذاك لا محالة من قتلي ، وكنت لا أهاب الموت ، ولكني كنت أخشى أن تضيع الأوراق السرية ، ويترتب على ذلك أن يتأخر الهجوم العربي على القوات العثمانية ، وكانت فكرة الثورة العربية هي أعز آمالي ومحط أحلامي ، وكنت أشعر بالتحفز حين أتخيل نجاح الثورة العربية ، واستقلال وسيادة البلاد العربية)

مشهد لا يمكن لذاكرة تحسين قدري أن تمحوه ما بقي حياً ، فبعد أن ألقى بنفسه من القطار بلا رحمة تلقى الصدمة بجسده ، وبعد أن سلم

الصندوق الذي يحوي الأوراق السريةّ لمرافقه ، وترك مصيره بيد القدر ، لاحقه القدر مرة أخرى ولكن بصورة شرطي عسكري ، كان تحسين قدري على إستعداد لفعل أي شيء ، لكنه لن يسمح لهذا الشبح الراكض خلفه بأن يغتال أحلامه ، لن يسمح له بأن يقبض عليه حتى لو فقد حياته ودفعها ثمناً لذلك ، حمل تحسين قدري دمه على كفيه بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى وكمسدسه « البارنللوم « وهو يعرف أنه لا بد له من استخدامه .

يقول تحسين قدري مسترجعاً تلك اللحظات الرهيبة التي دفعت الدماء الفتية الحارة في عروقه قائلاً :

– أخرجت مسدسي ونظرت إليه نظرة المتهور المجازف والثائر من ظلم العبودية .

هذه هي المشاعر التي كانت تهزّ كيان تحسين قدري ذلك الشاب العربي الهارب بحريته إلى النور ، والقابض على أحلامه القومية الثائرة في كل بوصة من كيانه ، لن يسمح باختطاف حريته مهما ترتب على هذا من نتائج لم يهب تحسين قدري الموت فقد غامر حتى الثمالة بحياته ومستقبله في وظيفته العسكرية حتى وصل نهاية الشوط ، وقال في نفسه بأنه لن يسمح لهذا الراكض خلفه أن يغتال أحلامه الجميلة ، لن يسمح له أبداً .

قبض على مسدسه بشدة ، وتطلع إلى الشرطي العسكري خلفه ، وبالا دهشته الكبيرة عندما رآه يغير وجهة سيره ، ويمشي في إتجاه مخالف لوجهة سير تحسين ـ قدري ..! لم يصدق تحسين قدري ما رآه ، ركز نظراته المندهشة عليه حتى رآه يختفي بين الحدائق والأشجار .. إنتهى الكابوس .

سار تحسين قدري إلى الأمام بعد أن أخفى مسدسه في ثيابه ، وسارت معه أحلامه التي كتب لها الحياة وهو يستعيد لياقته العسكرية لمدة أربع ساعات على قدميه كما نسي صدمة السقوط بعنف من القطار إلى أرض محطة القدم للوصول إلى حي القنوات بدمشق حتى وصل آخر محطة الميدان شمال محطة القدم ، وهناك وجد عربة قديمة فأوقفها وطلب من صاحبها ان يوصله إلى القنوات حيث مسكن شقيقه الدكتور أحمد وعيادته أيضا .

كان يعرف أنه لن يجد شقيقه الأكبر زكي ، ولن يرى عائلته المنفية معه إلى الأناضول ، لكنه مع ذلك لم يشعر باليأس لأنه كان يثق بأن ما قام به من مغامرة قد يكون كفيلاً بأن يستعيد أسرة شقيقة المنفية مع مئات الأسر الدمشقية التي نفاها جمال باشا بقسوة لا تغتفر وهو متأكد من أنه سيجد شقيقه الدكتور أحمد بلا شك .

طمع السائق في تحسين قدري ثم ساومه على أجرة التوصيل بطمع حين طلب منه أن يدفع مبلغ أربع مجيديات من أجل إيصاله ، وافق تحسين

قدري بلا تردد ، فقد كان المهم بالنسبة إليه أن يصل منزل شقيقه أحمد بأي ثمن ، خلع الخوذة « الأنورية « عن رأسه ، وحرص على إخفاء معالم وجهه بوضع » محرمة « على فمه ، حتى أوصلته العربة القديمة بسلام وأعجوبة ، لتبدأ منذ تلك اللحظة المرحلة الجديدة من حياته بإنعطافة مصيرية جائت منذ اللحظة التي أغلق فيها الباب وأخبر شقيقه بكل ما حصل معه .

إتفق تحسين قدري وأخيه الدكتور أحمد قدري على ضرورة التخفي حتى يحين موعد السفر والإلتحاق بجيش الشمال (جيش فيصل بن الحسين) عبر الإختفاء في بيت عتيق ، بات قرار السفر مسألة لا تحتمل التأجيل وأول خطواته جاءت بإخفاء تحسين قدري في مكان سري ومعه أوراقه بعيداً عن الأنظار .

تشاور شقيقه الدكتور أحمد مع أعضاء الجمعية العربية الفتاة ، لاتخاذ قرار السفر الجماعي ، والإنضمام إلى جيش فيصل بن الحسين ، لذلك قام تحسين قدري بتبديل ملابسه العسكرية ، وإرتدى ثيابا مدنية ، وجمع وثائقه السريةّ ، وسار مع سيدة من أقارب زوجة شقيقه تدعى « سرو « وهي من عائلة « مردم بك « الدمشقية ، حيث إجتازا معاً سوق مدحت باشا حتى وصلا محلة قريبة من القصاع في زقاق ضيق ، يؤدي إلى بيت قديم جدا إتخذه تحسين قدري مقراً له رغم كونه غرفة مظلمة تشبه السرداب .

كان البيت من شدة قدمه له مدخل متصل بباب لا يمكن أن يسدّ كونه بلا قفل ، وكانت السيدة سرو توصل إليه الطعام يوميا وكلما أقبلت إليه السيدة « سرو » بالطعام ، ودخلت من الباب إرتعد تحسين قدري بجسده خوفا من أن يكون قد إفتضح أمره ، ولم يهدأ روعه أبداً ، وبدأت مخاوفه تكبر وتكبر في حين كان شقيقه الدكتور أحمد يجري إتصالاته مع أعضاء الجمعية العربية الفتاة ويجهز العدة للسفر من عتاد وسلاح وخيول ، ويجمع ما يحتاجه لسفر طويل تاركاً فيه بيته وعمله بعيادته ليغامر هو الآخر بكل شيء سائراً مع رفاقه من أجل الحرية للوطن .. كل الوطن.

وفي الطريق إلى الحرية وبعد مرور ثلاثة أيام في البيت العتيق الذي أقام به في دمشق ، إستكمل شقيقه أحمد مع الرفاق من أعضاء الجمعية العربية الفتاة استعدادات السفر على كثرتها واتفقوا على التجمع في الغوطة بجرمانا مساءاً ، وعندها طلب من تحسين قدري أن يوافيه ببدلته العسكرية ، وخرج من مخبئه وهو يرتدي بدلته العسكرية الكاملة مع الرتبة والأوسمة ، وصعد بهدوء إلى العربة ، وعبر شوارع دمشق إلى محل اللقاء ، وهناك في تلك اللحظات التي وصل فيها ورأى شقيقه ورفاق الرحلة ، إطمئن وشعر بأنه بدأ مرحلة جديدة وحاسمة من حياته وهو يقود القافلة بخبرته العسكرية إلى الحرية .

كان في الغوطة شقيقه أحمد ومعه رستم حيدر ورفيق التميمي وخليل السكاكيني وغيرهم ، وكانوا يلبسون الملابس العربية ويأكلون البطيخ » الرقي « ، ولأنه العسكري الوحيد بينهم ، فقد كان يحسب للموقف ألف حساب بطريقته ، وكان يستعجل الجماعة للرحيل الفوري ، ويبدو أنه كان على حق ، فقد نجاهم حسه العسكري من الإعتقال ، إذ أن جمال باشا الصغير « « مرسفلي جمال « لاحق تحسين قدري وأرسل من يهاجم بيت شقيقه احمد بعد ساعة واحدة من مغادرتهم دمشق حيث بدأت الشرطة العسكرية عمليات التحري عن كل أفراد الجماعة التي غادرت دمشق ذاك اليوم في قافلة قادها تحسين قدري الرجل العسكري المتمرس الوحيد بينهم لتبدأ مع مغادرتهم دمشق مرحلة جديدة في في تاريخ دمشق بأسرها .

" كل شيئ نَملُكهُ في حياتنا قَد يُكَررُ فِينَا الوِلادة : الحب مثلاً ، الحزن ، الأمل ، الخيبة ، الثقة ، الخيانة ، الصَبر .. إلا الروح فَإنَها لاَ تُولدُ إلا مَرةً واحِدة فِي العُمر "

السادس والعشرون من أيلول 1918م

واجهت القوات العربية والبريطانية القوات العثمانية في معركة دمشق وجهاً لوجه تقدمهم الأمير فيصل في منطقة معان كفارس مقدام ممشوط القوام أسود العينين يرى في وجهه الحزم والعزة ، صرخ منادياً في جنوده :

"يا جند سوريا الكبرى الأوفياء .. هذا يومنا الذي إنتظرنا ويوم ملحمتنا الحاسمة .. إبتدأت ثورتنا على الحكم العثماني ، أعلم أننا لا نزيد على ألف وخمس مائة جندي وقليل من رجال قبائلنا الشريفة المسلحة ومدفعين حصلنا عليهما من حكومة بريطانيا الصديقة ولكنكم يا رجال قبائلنا وجنودنا الأشاوس ستكتبون التاريخ اليوم بإيديكم .. اليوم لا إستسلام ولا خضوع فإما أن تعود دمشق كسابق عهدها حرة أبية مستقلة استقلالاً تاماً على أراضيها وإما الشهادة .. لا شيئ آخر"

كان لذلك الخطاب وقع كبير في نفوس المقاتلين وحققت القوات العربية إنتصاراً عريضاً تسبب بهزيمة نكراء للجيش العثماني فإنسحب من معان أولاً ثم عمان وصولاً إلى دمشق في 26 أيلول 1919 بعد مغادرة الوالي العثماني وجنده دمشق نهائياً .. وانتهت بذلك 400 سنة من الحكم العثماني ، وتم رفع العلم العربي في

دمشـق إيـذانا بتشـكيل حكومـة عربيـة وسـورية ترأسـها الأمير محمـد سـعيد الجزائـري وشـكّلها عـدد مـن وجهـاء المدينـة وأعيانهـا لضـبط الأمـن ريثمـا تصـل القـوات العربيـة ، لـم تسـتمر حكومـة الجزائـري أكثر مـن ثلاثـة أيـام عنـدما دخـل الجـيش العربـي أبـواب دمشـق في تشـرين الأول من عام 1918م .

الأول من تشرين الاول 1918م

بـدأ سـباق بـين القـوات الأماميـة البريطانيـة والعـرب على مـن سـيدخل دمشـق أولا ، أقنـع لـورانس القائـد الاسـترالي الجنرال شـوفيل بالسـماح لفيصـل والمحـاربين العـرب بشـرف دخـول دمشـق أولا ويبـدو ان التطـور المفـاجئ النهـائي هـذا أكـد أن قضـية العـرب في دمشـق جـذبت إنتبـاه العـالم بمحـوره ، كـان خبراً سياسـياً مـن الدرجـة الأولى عمـت الأفـراح في شـوارع دمشـق وحاراتهـا وضـواحيها لإنتهـاء الحكـم العثمـاني على دمشـق وجـلاء الأحـتلال عـن أراضـيها لـم يـدرك أشـد المتشـائمين في دمشـق والعـالم مـا كـان ينتظـر دمشـق ومـاذا لـو كانـت الايـام القادمـة سـتحمل لها المزيد من التعب ومن التضحيات والدماء ؟

" كُـلُ البِـدايَات تُولـدُ سَـعيدة وتُرسَـمُ لهَـا الآفُ الأحـلامِ والآمـال والخُطط الجَديَدة ، إلا أن النَهايَات لهّا غالباً أحداثاً فَريدة"

الرابع من تشرين الاول 1918م

وصلت القوات العربية دمشق وفتحت أبوابها السبعة إحتفاءاً بوصول الأمير فيصل بن حسين في *موكبه معززاً بألف ومئتان رجل من أتباعه .

تولى الامير فيصل قيادة الجيش الشمالي بعد انسحاب الجيش العثماني منها ومن جميع مدن سوريا ، وضجت المدينة من أقصاها إلى اقصاها بالهتافات والشعارات المرحبة بحضوره وكان في استقبال الامير جمع عسكري عظيم وحشد شعبي غفير أيدت من خلاله جموع الشعب العربي للثورة واستجابت لأوامر القيادة العربية الحاكمة آنذاك .

---

*موكبه : يروي الأستاذ علي الطنطاوي إحدى هذه الطرائف في كتابه (دمشق) في فترة الاحتلال العثماني فيقول وهو يناجي الساقية التي كانت تجري بالقرب من ساحة المرجة قبل أن تردم لتعبيد الطرقات ليسير عليها ذلك القادم الجديد، فيقول: " هل تذكرين يوم جاءت دمشق أول سيارة، وكنا جالسين حولك نتحدث حديث الحرب وما يمكن أن يصل إلينا من أخبارها، فما راعنا إلا عربة غريبة الشكل تسير من غير أن يجرها حصان، فطار الفزع بألبابنا وفررنا نحسب أن الجن تسيرها، ثم سمعناهم يدعوننا .

"إقتباس"

فتحت المحلات التجارية في دمشق أبوابها صباحاً ، أنغام طيورها الشجية رافقت بشاعرية ياسمين دمشقي المعتق وهو يفوح بين حاراتها ، شرع التجار بترتيب بضائعهم في حين بدت أعداد المارة من الناس تزداد رويداً رويدا حتى أصحاب الدراجات الهوائية منحتهم دمشق أيضاً من جمالها حظاً وقِسمة.

أعلن الامير فيصل بن حسين حفظه الله عن تأسيس حكومة عربية في دمشق وكلف الفريق رضا الركابي بتشكيل أول حكومة عربية سورية رسمية .

لقب الامير فيصل بن حسين بالحاكم العسكري وعين اللواء شكري الايوبي حاكماً عسكرياً ونُقل المستشار يوسف العظمة من بيروت إلى دمشق ورقي الى رتبة عميد كوزير للحربية السورية ، عمت الأفراح دمشق بهذا الخبر الذي لم يدم وذلك بعد احداث الهدنة العمومية التي جرت لاحقاً .

كان وقع إسم يوسف العظمة في آذان الدمشقيين والسوريين عموماً إيجابياً في نفوسهم لاسيما وأنه من أبناء دمشق النبلاء المعروفون بنبلهم كوالده الذي يعرفه الناس بأنه أمين والذي كان يعمل موظفاً في مالية دمشق ، توفي حين كان يوسف العظمة في السادسة من

العمر ، فلما كبر يوسف شابه أباهُ كثيراً في القيم والمبادئ ، لطالما تحدث عنه الملك فيصل وقال بشأنه بعد تعيينه كوزير للحربية السورية:

« واثق بأنه سيكون ليوسف العظمة شأن كبير بين الرجال القادة وبأنه سيمثل على مسرح السياسة دوراً خطيرا»

الحادي عشر من تشرين الثاني 1918م

" حلب " هذه المدينة الجميلة وأكبر المدن السورية الواقعة في شمال غرب سوريا على بعد 193 ميلاً من دمشق ونظراً لموقعها الإستراتيجي القريب من الأناضول.

لعبت حلب دوراً محورياً في عهد الدولة العثمانية، وكانت المدينة الثانية بعد القسطنطينية، والمدينة الرئيسية للتجارة بين بلاد الشرق والغرب .

إختلفت وجهات النظر حول إسم حلب ذاته فالبعض عزا الإسم إلى تعريب كلمة حلبا السريانية التي تعني البيضاء ، زارها الأمير فيصل للتعرف على أهلها الطيبين الذين قابلوه بحسن الضيافة وكرم الأخلاق وكانت لزيارة حلب طالع جميل حيث أن بريطانيا كانت قد وعدت الأمير فيصل في نوفمبر

1918 أن تساعده في تسليح جيش مكوّن من لوائين ، وكان لتلك الزيارة وقع جميل في نفس الأمير فيصل قبل أن يقتطع رسولٌ من وزارة الخارجية تلك الزيارة عندما تقدم متجهاً الى الأمير فيصل :

- الجندي : سيدي الأمير .. الهدنة العمومية أمضيت بين جميع الأطراف المتحاربين .. وتم الإتفاق على عقد مؤتمر دولي في قصر فرساي بفرنسا لتقرير الصالح العام ، ووزارة الخارجية أوعزت لعنايتكم بحضور المؤتمر نيابة عن والدكم سمو الشريف حسين أطال الله في عمره لتقرير مصير الشعوب العربية في المنطقة ، وتم إرسال برقية نظامية من والدكم سمو الشريف حسين إلى فرنسا بهالخصوص حتى يكون تكلمكم بالمؤتمر قانوني :

- الأمير فيصل : طيب .. رجاع بسرعة للشام وخبر وزارة الخارجية إنه الأمير فيصل رح ينفذ طلبكم في الحال ورح يتوجه لفرنسا بعد أخذ موافقة جلالة الشريف حسين مباشرةً .

رحل الجندي وهَمَ الأمير فيصل بالعودة وتحضير ما يلزمه لسفره عندما طرق حاجبه الباب فأذِنَ الأمير لحاجبه بالدخول:

- الحاجب : سيدي الأمير .. معي برقية من سمو الشريف حسين والدكم

أخذ الأمير فيصل الرسالة من الحاجب وفتحها :

- الشريف حسين : ولدي الأمير فيصل حاكم بلاد الشام ،نظراً لخطورة الوضع الراهن الذي تعيشه الأمة العربية في مواجهة الاستعمار لتحقيق

الإستقلال وحاجة الشعوب لقائد محنك قادر على تلبية متطلباتهم ونظراً لضعف حالتي الصحية وعدم إمكانيتي من السفر إلى فرنسا حالياً فإني أطلب منك حضور مؤتمر الصلح المنعقد في فرنسا والعمل بكل ما بوسعك من أجل تحقيق مصلحة الشعب والوطن ، راجياً لك من الله التوفيق والسداد .. والله ولي التوفيق

(الشريف حسين)

"مَحكومُونَ نَحنُ بِالأخطاء مَا دُمنَا نَعيشُ على هَذِهِ الأرض كَبَشَر ، وَلو كُنا مَلائِكةً لَكُنا اليَوم نَعيشُ فِي السَمَاء ، لَكِن قّدرُنا أن نُخطئ .. ويَالهُ مِن قدَر"

نادى الأمير فيصل حاجبه فور قرائته للرسالة :

- الأمير فيصل : يا حاجب .. جهز العربة وخبر المستشارين المذكورة أسماؤهم بالورقة بتحضير أنفسهم للسفر معي لفرنسا حالاً :

- الحاجب : حاضر سمو الأمير .

يفتح الحاجب الورقة ويقرأ أسماء من ذكروا فيها لإبلاغهم بالحضور إلى مكتب الأمير فيصل ، وهم :

1. نوري السعيد - (مستشار)
2. رستم حيدر - (مستشار)
3. الدكتور احمد قدري - (طبيب)

4. فائز الغصين – (محامي وكاتب)

5. توماس إدوارد لورنس – (ضابط بريطاني)

رن هاتف الأمير فيصل عقب خروج الحاجب لنداء مستشاري الأمير :

- الأمير فيصل : نعم .. نعم .. اهلاً وسهلاً .. كيف .. الضابط توماس ؟ يا حضرة المستشار ما بيصير تحكي هالكلام .. المستشار توماس إنسان شريف وإله موقف مشرفة من الثورة اللي خاضها معنا ضد العثمانيين وما بينوضع أبداً موضع الشبهة والإتهام

- المستشار : بس الضابط لورانس ضابط بريطاني يا سمو الأمير

- الأمير فيصل : وإن كان ضابط بريطاني ، لكن إله موقف مشرف معنا بإدارته للثورة العربية ومساعدته لقواتنا أثناء الثورة بحربها ضد الدولة العثمانية ولا نسيت !!

- الأمير فيصل : بالاضافة لكونه خلال الحرب العالمية الأولى تم ارساله كضابط اتصال بريطاني إلى القوات العربية ، كل هاد نسيته يا حضرة المستشار ، الضابط لورانس هو لورانس العرب مو لورانس بريطانيا فقط.

- المستشار : يا سمو الأمير انا ما قصدت قلل من شأنه ولكن ...

- الأمير فيصل (يقاطع المستشار): يا حضرة المستشارة هاد الكلام مو وقته هلأ لو سمحت جهز أغراضك بدنا نسافر فوراً .. وينتهي الإتصال .

دخل الامير زيد بن الحسين لمحادثة الأمير فيصل فور انتهاءه من محادثة المستشار :

- الأمير زيد : السلام على سمو الأمير فيصل
- الأمير فيصل : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا سمو الأمير زيد .. تفضل (ويشير بيده للجلوس)
- الأمير فيصل : أمير زيد .. سمعني منيح .. أنا مسافر بأمر والدنا الشريف حسين لفرنسا وإنت رح تكون نائب عني بالأمور الـ .. !!
- الأمير زيد : بس أنا ما عندي دراية كاملة بأمور الحكم يا سمو الأمير
- الأمير فيصل : إنت رح تكون نائبي بالبلاد للامور البروتوكولية فقط بينما المستشار رضا الركابي رح يكون القائم بإدارة الحكم وتسيير أمور البلاد سياسياً.
- الأمير زيد : حاضر سمو الامير .. رحلة موفقة

تعانق الأمير فيصل مع أخيه قبل أن يمضي الأمير فيصل خارجاً من مكتبه وعلى محياه تعلو نظرة التفكر التي ظهرت جلياً ، أما عينيه فكانتا تبوحان بأنهما غير سعيدتين أبداً برحتله البعيدة إلى تلك البلاد والتي كانت تضمر له بين خباياها الكثير من الشرور والمفاجآت.

السابع من كانون الأول 1918م

سافر الأمير فيصل إلى باريس وقابل هناك رئيس الجمهورية هنري بوانكاريه وحضر الجلسة قدور بن غبريط التونسي المعروف ليقوم بالترجمة بينهما ، غير أن الجلسة لم تدم سوى عشرين دقيقة بعد أن اقتصر الحديث بالعبارات الترحيبية والتمنيات الطيبة مما دل أن باريس لم تستقبل الأمير فيصل كسياسي ينوب عن والده الشريف حسين بل كأمير حجازي ، وفي اليوم التالي دعا وزير الخارجية الفرنسي المسيو بيشون الأمير فيصل لتناول طعام الغداء في وزارة خارجية فرنسا كما دعاه لفنجان شاي في أحد منتزهات الشانزليزيه الجميلة مساء ذاك اليوم الأمر الذي أثر سلباً في نفس الأمير فيصل وأزعجه ، وزاده سوءاً منظر الراقصات اللواتي قمن بألعابهن في بهو حفلة الشاي وقد لاحظ تحسين قدري الأمير فيصل منخفض الرأس كي لا يقع بصره عليهن طوال فترة الرقص وقال الأمير فيصل لتحسين قدري حينها وهما يغادران المكان :

- الأمير فيصل : (أيظن الفرنسيون أنهم يغروني براقصاتهم ؟ أنا لم أحضر لفرنسا للهو واللعب ولكن لأخدم بلادي)

كان للأمير فيصل شخصية لها وزنها وثقلها في الأوساط السياسية الأوروبية كيف لا وهو الذي كان يرتدي دائماً الزي العربي المميز ، كما أن أول بدلة أوصى عليها كانت من الخياط الشهير (لارسن بلاس فاندروم) لاسيما أن رشاقته جعلته من أوسم رجال العرب أناقةً وحضوراً.

كان الأمير فيصل في باريس منهمكاً بتحضير المذكرات السياسية من شروق الصباح إلى المساء غير مهتم بأن يريح نفسه من تعب الذهن والجسد الذي لحق به ، وفي أحد المرات طلب منه تحسين قدري الذهاب معاً لشرب فنجنان شاي في أوتيل ريتس وعندها قدم له الكرسون فنجان الشاي ومعه رسالة مطوية رفض الأمير فيصل فتحها وسلمها لتحسين الذي قرأها وكانت مرسلة من كونتيسة فرنسية من الأسر المعروفة في باريس تدعوه فيها لفنجان شاي إلا أن الرسالة لم ترق للأمير فيصل الذي نهض مغادراً المكان بسرعة ، قائلاً لمرافقه المستشار تحسين قدري يومها :
- الأمير فيصل : إنني لست الرجل الذي يروق له اللهو .

لم يكن الأمير فيصل متقناً للفرنسية إلا أنه بدأ بأخذ دروس اللغة الفرنسية واجتهد جداً حتى بات يتحدثها بكل طلاقة بل ويخطب فيها أيضا .

"إنَنَا نَفعَلُ أحيَانَاً كُلَ شَيءٍ مِن أجلِ الوُصُولِ إلى مَا نُرِيد ، ولكِن مَهمَا نَفعل لَن يُجدِ ذَلِلكَ نفعاً ولَن يُفيد ، رُبَمَا هِي أقدارُنَا أن نَحيَا فِي هَذا العالَم بِقلبٍ مُمَزَق مَجروح الوَرِيد"

التاسع من كانون الاول 1918م

إستقل الأمير فيصل مع الدكتور أحمد قدري وعوني عبد الهادي وتحسين قدري القطار إلى مرفأ بولون متجهاً إلى لندن وكان في إستقباله في مارسيليا قادما من لندن الكولونيل لورانس ولم يكن الامير فيصل يعرف أحدا في تلك المدينة وهو يلبس اللباس العربي وعلى رأسه الكوفية والعقال والخنجر الذهبي في وسطه ، سر الامير فيصل بحضور الكولونيل لورانس إلا أن هذا المشهد لم يعجب الفرنسيين بل واستفزهم أيضاً، فأشاروا إلى الكولونيل لورانس بمغادرة فرنسا فوراً وبإيعاز من وزارة الخارجية نفسها .

السادس من شباط 1919م

عرض الأمير فيصل مطالبه في القضية العربية لدى مؤتمر العشرة (وفق ما وصفه السياسي عوني عبد الهادي) بجرأة وحزم طالباً من أعضاء المؤتمر الإستقلال التام لبلاده قائلاً :

"إن هذه البلاد كانت مهد مدنيات عظيمة ولا يزال أهلها ذوو إستعداد للقيام بواجباتهم نحو العالم المتمدن سكان هذه البلاد كلهم ينطقون بلغة واحدة هي اللغة العربية ، وإن لهذه البلاد حدود طبيعية تفرقها عن غيرها وتؤكد وحدتها وتحفظ إستقلالها فسكان هذه البلاد ينتمون كلهم إلى عنصر واحد وهو العنصر السامي ولا يتجاوز عدد العناصر غير السامية فيه واحدا بالمائة ، وإن منافع هذه البلاد

الإجتماعية والإقتصادية كانت ولا تزال متحدة ، وقد إزداد هذا الإتحاد قوة بإزدياد الوسائط النقلية وسيزداد أيضا كلما إزدادت تلك الوسائط ، إنه ليصعب أن نجد أمة في العالم تضاهي أمتنا في وحدتها الجنسية وتوفر جميع هذه الصفات والمميزات"

ويضيف عوني عبد الهادي إلى أن الأمير فيصل إنتهى في خطابه إلى ما يأتي :

" إن الدول المتحالفة وعدت الأمة العربية بحريتها واستقلالها عند إنتهاء الحرب ، وها قد خرجت من هذه الحرب ظافرة ، فينبغي أن تبر بوعودها ، وأنا واثق بأن الدول الكبرى ستولي عناية خاصة لحياة الشعوب العربية أكثر من اهتمامها بمصالحها المادية ، والأمة العربية تنتظر ذلك بحق وجدارة ، ومطالبها القومية منطبقة تمام الإنطباق على مبادئ الرئيس ولسون التي صادقت عليها كل الدول المشاركة "

ويضيف عوني عبد الهادي الذي حضر هذه الجلسة التاريخية بأن مذكرة الأمير فيصل في 29 كانون الثاني / يناير 1919 م ألحقت بالمادة الثانية من خطاب الرئيس ولسون في مونت فرنون في 4 تموز / يوليو 1918 م ، والتي تنص :

"إن تسوية أية مسألة سواء أكانت مسألة إقليم أو سيادة أو تنظيمات اقتصادية ، او علاقات سياسية ، ستبنى على أساس القبول الحر لهذه التسوية من قبل الشعوب المعنية مباشرة ، وليس على أساسا مصالح

مادية كانت او منافع لأي أمة قد ترغب بتسوية مخالفة من اجل نفوذها او سيادتها"

وقد دارت مناقشات عديدة بعد كلمة الأمير مع أعضاء المؤتمر ومنهم المستر لويد جورج والرئيس ولسون الذي سأل الأمير إن كان يرغب في إنتداب دولة واحدة أو أكثر ، وكان ردّ الأمير فيصل حاسماً بهذا الأمر :

"لقد جئت إلى باريس لأمثل والدي الشريف حسين في مؤتمر السلم ، مطالباً بإستقلال ووحدة البلاد العربية المنسلخة عن تركيا كاملةً غير مجزأة"

طلب الأمير من المؤتمر إرسال لجنة تحقيق دولية لسؤال أهل دمشق عن نوع الحكم الذي يريدونه تنفيذاً للمادة 22 من :ميثاق العصبة ، وقال إن الرئيس ودرو ولسون سبق وذكر في المبدأ الثاني عشر من خطابه في مونت فرنون تأييد حق الشعوب بتحقيق رغبتها في حكم بلادها ، كما سبق وأصدرت الحكومة البريطانية تصريحاً للرجال السوريين السبعة جواباً لطلباتهم ، وسمي هذا التصريح بتصريح السبعة ، أكدت فيه الدول السبعة بأنها ترغب في أن يكون حكم البلاد العربية المنسلخة عن تركيا قائماً على ما يرضاه أهلها ، وأن السياسة هذه ستظل مؤيدة من حكومة جلالته ، كذلك طالب الأمير فيصل أعضاء المؤتمر قائلاً :

"فإنني من موقفي هذا أستند بطلبي الوحدة والاستقلال على التصريح المعروف بالتصريح الإنجليزي – الفرنسي في 9 تشرين الثاني / نوفمبر 1918م الذي أعلنت الدولتان فيه أن همهما الوحيد أن يتحقق بمعونتهما ومساعدتهما المفيدة ، إقامة الحكومات والإدارات التي يختارها أهل سورية والعراق ، وقد وزعت نسخ من هذا التصريح على أهالي المدن والقرى في جميع البلاد العربية السورية "

السادس عشر من نيسان 1919م

أسر كليمنصو قوله للأمير :

- أريد منك يا سموّ الأمير أن تثق بأن فرنسا الصديقة القديمة لسوريا وليس لها أي مطمع إستعماري بسوريا ، وأن كل ما ترغب به فرنسا هو مدّ يد العون والمساعدة لها والدفاع عن حرياتها وإستقلالها ، أريد منك يا سمو الأمير أن تعلم أني عدو للإستعمار ، وأني حاربت الإستعمار خمسين عام ، وأن ما كتبته من مقالات وكتب كثيرة تشهد بصدق ما أقول .. فأنا أريدك يا سمو الأمير أن تضع يدك بيدي ونسير معا بخدمة سوريا .

فأجابه الأمير فيصل قائلاً :

- عـدني يـا سـعادة الـرئيس أنـك سـتبقى رئيسـاً لـوزراء فرنسـا للأبـد ، وأنـا أمـدّ يـدي في الحـال وأسـير معـك إلى حيـث تريـد ، بـدون شـرط أو قيـد ، ولكني أخشـى أن يسـتولي غيـرك على رئاسـة وزراء فرنسـا ، ولا يكون هذا الرئيس مثلك عدو للإستعمار .

كانـت تفاصـيل اللقـاء تؤكـد جملـةً وتفصـيلاً رفـض الأمير فيصـل لأي تدخل أجنبي في سوريا قطعاً ، فقد قال للرئيس الفرنسي:

" لا يـا سـعادة الـرئيس .. إن سـوريا في غيـر حاجـة إلى جيـوش أجنبية لحمايتها "

الرابع من آب 1919م

داخـل قاعـة المـؤتمر الـدولي السـوري في النـادي العربـي في دمشـق عنـد شـارع بورسـعيد قـرب سـينما الأهـرام كانـت قاعـة المـؤتمرات تضـج بالأصـوات الصـاخبة في زواياهـا العريقـة بحجـم طموحـات وأحـلام أعضـاء هـذا المـؤتمر الـذين ظهـر حـبهم وولائهـم العميـق لـوطنهم سـوريا بعـد أن نشـأوا في كنفـه فجعلهـم يعملـون جاهـدين لأجـل رفعتـه وسـموه وبنائه .

بـدأ توافـد الصحافة المحليـة والعالميـة لنقـل وقـائع هـذا المـؤتمر الكبير ومـا هيّ إلا سـاعات قليلـة حتى أغلقـت قاعـة المـؤتمر الواسـعة أبوابهـا الضخمة إيذاناً ببدء أولى جلسات المؤتمر .

وقـف رئـيس المـؤتمر محمـد فـوزي باشـا العظـم وهـو يمشـي ببطـئ إلى المنصة لإفتتاح المؤتمر :

- رئـيس المـؤتمر : بإسـمي أنـا رئـيس المـؤتمر السـوري محمـد فـوزي باشـا العظـم وبإسـمكم جميعـاً وبإسـم الشـعب العربـي أفتـتح معكـم مؤتمرنـا الأول هـذا ، أعطـي الكلمـة لسـمو الأمير فيصـل بـن حسـين حفظه الله ورعاه .

- الأمير فيصـل : السـلام علـيكم .. رأيـت أن أدعـوكم لتقريـر مصـير الـبلاد حسـب رغبـة الأمـة فقـد رأى مـؤتمر السـلم أن ينظـر في رغبـات الشـعوب وحـتم علـى نفسـه أن يقـرر مسـتقبل كـل أمـة بحسـب إرادتهـا ورغبتهـا ، نحـن لا نطلـب مـن أوروبـا أن تمنحنـا مـا لـيس لنـا بـه حـق بـل نطلـب منهـا أن تصـدق على حقنـا الصـريح الـذي إعترفـت لنـا بـه جمعيـة الأمـم كافـة نريـد حيـاة وإسـتقلالاً تـامين .. وإننـا مـن هـذا المؤتمر نقرُ .... !! "

- (صـوت وقـوع أحـد الأعضـاء علـى الأرض) تـلاه نـداء أعضـاء المؤتمر: اطلبوا الإسعاف .. اطلبوا الإسعاف .. بسرعة !!

إلتف الأعضاء حول رئيس المؤتمر محمد فوزي باشا العظم الذي ما لبث أن توفي في قاعة المؤتمر، تم حمله من قبل الحضور والمساعدين في لحظة كانت صعبةً جداً على الجميع ، وجرى بعد ذلك عقد إنتخابات محلية لرئاسة المؤتمر التي إنتخب فيها هاشم بك الاتاسي نائب حمص بصفته أكبر الأعضاء سناً ذاك اليوم لرئاسة المؤتمر خلفاً لمحمد فوزي باشا العظم رحمه الله ، سافر بعدها الأمير فيصل إلى بيروت متجهاً إلى أوروبا .

" مِنَ الجَمِيل أن نَسعى لتَحقِيقِ أحلامِنَا الوَردية ، وأن نَتعب ونُضحي ونَسهَر مِن أجلها ، ولَكِن علينَا قَبل ذلِك أن نُفَكِر قَليلاً : هَل نَسيرُ فِي الوجهَةِ الصَحيحَة أمِ العَكسِيَة ؟! "

الثاني عشر من تشرين الثاني 1919م

وصل الأمير فيصل إلى بيروت بعد رحلته من الشام متجهاً إلى الإسكندرية ومنها إلى أوروبا ،ظل وجه الأمير فيصل طوال رحلته إلى بيروت غير مطمئن فسأله أحد مستشاريه :

- المستشار : سمو الأمير .. نظراتك ما بتطمن .. خير في شي؟

- الأمير فيصل : أرسلت برسالة للمسيو كليمنصو وخبرته فيها أنه حضوري مقرون بالإستقلال التام ولا شي تاني غيره ولهلأ ما وصلني أي رد ، وهالشي مو مطمئن لي أبداً يا حضرة المستشار

- المستشار : إنت خايف يتفقوا على شي سمو الامير ؟

- الأمير فيصل : بصراحة يا جناب المستشار إي .. كلامك أصاب يلي عم فكر فيه بالضبط لهيك لازم نسرع المسير لبيروت حتى نوصل للإسكندرية بأسرع وقت ومن هنيك منسافر بباخرة سريعة لمارسيليا مكان إنعقاد المؤتمر.

وصل الأمير فيصل إلى ميناء الإسكندرية قادماً من بيروت مع الوفد المرافق له إلا أنه لم يجد أي باخرة تقله ورفاقه إلى فرنسا ، فإضطرب وبدا عليه الإرتباك :

- الأمير فيصل : والحل يا حضرات المستشارين .. لازم نتصرف بسرعة .

أقبل رجل يرتدي زي ضابط من البحرية إلى الأمير فيصل :

- الضابط : سمو الأمير في نسافة بريطانية مسافرة لفرنسا دلوقت .. تحب نبلغهم برغبة سموك السفر بيها في الحال .. ولا لمعاليكم رأي تاني؟

- الأميـر فيصـل : بلغهـم إننـا مسـافرين معـاهم لفرنسـا .. وخـدني إلهم في الحال
- الضابط : تحت أمر سموك.

ركـب الأمير فيصـل ومستشـاريه في النسـافة التي انطلقـت فـوراً وفي الطريـق إلى الإسـكندرية توقفـت النسـافة فـدخل الأمير فيصـل إلى حجرة كابتن النسافة :

- الأمير فيصل :

What Happened to the ship captain ?

(ماذا حدث للنسافة أيها الكابتن ؟)

- كابتن النسافة:

There is a shortage in the fuel of ship the Prince, in addition to a technical defect in one of the engines of the ship ?

(هناك نقص في الوقود بالإضافة إلى عطل فني في محركات النسافة)

- الأمير فيصل :

How long does it take to continue its journey ?

(كم من الوقت تحتاج النسافة لمتابعة الرحلة ؟)

- كابتن النسافة:

It takes two days, Your Highness

(تحتاج ليومين يا سمو الأمير)

حزن الأمير فيصل بشدة وعاد إلى رفاقه اللذين سألوه بقلق عن جواب كابتن النسافة فأجابهم :

- الأمير فيصل : رح نضل يومين بالبحر حتى تتصلح النسافة .

نظر المستشارون إلى بعضهم نظرة الخيبة في حين كان وجه الأمير فيصل حزين جداً ، لم تجر رياح سفينة الأمير فيصل حينها بما تمناه الامير ولا مستشاريه.

وهكذا .. عاش الأمير فيصل يومان قاسيان مرا عليه وعلى مستشاريه كمرور الجبال العتيدة ، قضاهما الأمير فيصل والمستشارون في قلب البحر ينتظرون تشغيل محركات النسافة التي تحركت أخيراً ولكن تحركت بعد فوات الأوان.

"بَعضُ الأمُور إن قُمنا بِها قَبلَ أوانِها لا تَنفع ، وإن قُمنا بِها بعد أوانِها لا تَنفع ، بَعضُ الأمُور إن لَم تَحدُث فِي أوانها لَن تُجدي نَفعاً ، ولَا شيئ لِحدُوثِها سيَشفَع"

السابع عشر من تشرين الثاني 1919م

وصل الأمير فيصل متأخراً فقد تم الإتفاق بين فرنسا وإنكلترا بشأن الإنتدابات ، ولم تفلح محاولات الأمير فيصل مع الأمير لوندره ، فاجتمع مع اللورد كورزون وزير خارجية إنكلترا في جلسة طارئة :

- الأمير فيصل :

Lord Corzon, we agreed that the independence of the Syrian Arab Republic is complete independence, How could you break that ?

(لورد كورزون لقد إتفقنا على إستقلال بلاد الشام فكيف لك أن تكسر إتفاقنا .. هل تظن أن الامر بهذه البساطة؟)

- اللورد كورزون :

Syria became under the French mandate after the withdrawal of the British on November 7, 1918 and I think you're not aware of that since you were busy on the ship

(سوريا أصبحت بالفعل تحت الإنتداب الفرنسي بعد انسحاب القوات الانكليزية في 7 نوفمبر 2018 يا سمو الأمير ، وأعتقد أنك لست على علم بذلك لكونك في النسافة خلال اليومين الماضيين)

- الأمير فيصل :

No, The is impossible, I will never accept it

(لا .. هذا مستحيل ، لن اقبل بهذا الشيئ اطلاقاً)

- اللورد كوزون :

Listen your Highness , I advise you to go to Paris and meet Mr. kalmanso and decide with him the affairs of the country, this is better for you

(اصغ إلي يا سمو الأمير ، أنصحك بالذهاب إلى باريس للقاء مسيو كليمنصو والإتفاق معه على مصلحة بلادكم ، فهذا أفضل لك)

نهض اللورد كورزون من مقعده في حين ظل الأمير فيصل ومستشاريه جالسين لبضعة ثوان ربما لو مرت في أذن أحد لثقبها وحشة ووهرة ، نهض الأمير فيصل ومستشاريه اللذين سرعان ما سافروا مجدداً إلى قلب العاصمة الفرنسية باريس لإجراء المحادثات هناك مع مسيو كليمنصو الذي تنصل من وعوده وإتفاقه مع الأمير فيصل .

الرابع والعشرون من تشرين الثاني 1919م

وصل الأمير فيصل ومستشاريه إلى باريس حيث كان جميع أعضاء المؤتمر في قاعة الاجتماعات التي تضجُ بالمفاجآت ، مر مع مرافقيه أمام الصحفيين بنظرات ثاقبة متوترة فيما كان ستيفن بونسال وهو دبلوماسي وصحفي أمريكي يهمس لزميله وهما في إنتظار بدء عقد المؤتمر قائلاً :

- ستيفن : هل تعلم يا صديقي أن غرفة الملك فيصل التي يقيم بها في فندق صغير وخاص ليست غرفة عادية كغرفنا التي نقيم بها!!
- الصديق : حقاً ما تقوله يا ستيفن ؟ إذاً كيف هيَ..؟
- ستيفن : إنها شيئ غريب فعلاً .. إنها أشبه ما تكون بالخيمة البدوية ، لن تشعر إطلاقاً عند رؤيتك لها أنك في باريس ، بل ستشعر بأنك موجود في قلب الجزيرة العربية .

- الصديق : (تتسع عيناه إستغراباً وتعجباً) .. حقاً !!

وصل رئيس الجلسة إلى قاعة المؤتمر التي سادها الهدوء سريعاً فيما كان الملك فيصل يرتب عمامته الأنيقة ومعطفه الموشى بالذهب على كتفيه وسيفه العربي المعكوف البادللعيان ومسدسه المرصع بالجواهر الذي لم يبذل جهداً لإخفائه فكان يبدو كأنه "ابن مارس" إله الحرب عند اليونان ولكن بالنسخة الشرقية ، وعندما حان دور الأمير فيصل بالتحدث نظر للحاضرين متحدثاً عن الآمال العربية وطموحات شعبها متوجهاً بحديثه للمسيو كليمنصو قائلاً :

"جئت ممثلاً عن والدي الذي قاد الثورة العربية ضد العثمانيين تلبية منه لرغبة بريطانيا وفرنسا لأطالب بأن تكون الشعوب الناطقة بالعربية في آسيا من خط الإسكندرونة ديار بكر حتى المحيط الهندي جنوباً، معترفاً بإستقلالها وسيادتها بضمان من عصبة الأمم و أنا و اثق من أن الدول الكبرى ستهتم بأجساد الشعوب الناطقة بالعربية وبأرواحها أكثر من إهتمامها بما لها هي نفسها من مصالح مادية ، وبما أن السوريين في الوقت الحاضر نظراً لإحتلال النظام الاجتماعي المنبعث عن الاضطهاد العثماني والخسائر التي حدثت أثناء الحرب لا يستطيعون أن يحققوا وحدتهم وينظموا إدارة أمتهم بدون مشورة أمة مشاركة فيطلب الأمير بإسم الشعب

الســوري هــذه المهمــة مــن فرنســا وحــدها، إن العــرب يعترفــون بالجميــل لبريطانيــا وفرنســا ، ويشــكرونهما علــى مــا قــدمتاه مــن عــون في ســبيل تحريــر أوطــانهم، والعــرب يطــالبون الآن أن يفــي الحلفاء بالوعود التي قطعوها على أنفسهم "

ثم توجه الأمير فيصل بخطابه إلى المسيو كليمنصو قائلاً :

- الأمير فيصل :

Mr. Clemenceau, , we agreed that the independence of the Syrian Arab Republic is complete independence, How are you going to break that agreement ?

(مسيو كليمنصو ، لقد إتفقنا على الإستقلال التام لبلاد الشام ، كيف لك أن تنكث هذا الإتفاق الذي عقدناه معاً ؟)

- المسيو كليمنصو :

Syria has already became under the French mandate, we recommend to sign this agreement to help the country after we already got your acceptance, I recommend you declare the acceptance of the list of the agreement that was between us and the English and ask you to sign it now without objection by

which you will save Syria and ensure its and will save blood and land from the evil and violence , if you refuse to accept .. You must sign the Prince

(سوريا أصبحت بالفعل تحت الإنتداب الفرنسي ، نوصيك بقبول موافقتك على الإتفاقية ، يجب أن توقع يا سمو الأمير على الإتفاقية بيننا وبين الإنكليز فهذا أفضل ما يمكنك تقديمه إلى سوريا كي تحفظها من السوء الذي قد يمسها إن رفضت التوقيع على الإتفاقية)

وافق الأمير فيصل على توقيع الإتفاقية التي سميت فيصل كليمنصو وقبل من خلالها بوعد بلفور .

أوائل كانون أول 1919م

في قاعة المؤتمر السوري كان هناك الكثير من الضجيج وحالة من عدم الرضا بين أعضاء المؤتمر تبادل فيها أعضاء المؤتمر أصابع الإتهام نتيجة غضبهم جراء إحتلال الجيش الفرنسي للأقضية الأربعة وهم (بيروت وطرابلس والبقاع وصيدا) بعد بيان رضا الركابي .

- أعضاء المؤتمر : (يصرخون) نحنا لا يمكن نرضخ ولا نقبل باللي عم يعمله الجيش الفرنسي.
- رضا الركابي : (غاضباً) هذا الكلام يضر بالبلد ومصلحة البلد وأهل البلد ، نحنا ..
- أعضاء المؤتمر : (يصرون) نحنا لا يمكن نقبل ورح نسحب الثقة من الحكومة الحالية فوراً اذا ما إستقلت .
- رضا الركابي : (غاضباً) إنتوا عم تهددوني.. أنا متلكم خايف على مصلحة البلد ولأثبتلكم هالشي رح قدم إستقالتي فوراً .. دمشق مو أغلى من منصبي يا سادة .

قبل الأمير زيد بن الحسين استقالة السيد رضا الركابي وعين السيد عبد الحميد القلطجي رئيساً للمؤتمر .

هكذا مرت أوائل شهر كانون الاول على اعضاء المؤتمر السوري الذين لم يرضوا أيضاً عن رئيس المؤتمر الجديد السيد / عبد الحميد القلطجي فاستقال هو الآخر بدوره وإستبدل في 13 كانون الأول بمصطفى نعمة، الذي عقد أولى جلساته المؤثرة في قاعة المؤتمر التي شهدت خطابه ذاك اليوم .

- مصطفى نعمة : "أيها الشعب الكريم ، أيها السادة الأعضاء ، أما بعد .. فأنني من منطلق الحرص والمسؤولية على حفظ وسلامة البلاد والمقدرات السورية أعرض على حكومتكم الكريمة إصدار قرار بالتجنيد الإجباري الذي تم النقاش به مع السيد وزير الحربية العميد يوسف العظمة لمقاومة الإحتلال الذي يتربص ببلادنا وأنتظر موافقتكم الكريمة لتبقى بلادنا الحبيبة عصية على الغزاة حتى أبد التاريخ "
- صرخ أعضاء المؤتمر : عاشت سوريا حرة أبية .. عاشت عاشت عاشت .. عاشت سوريا حرة أبية .. عاشت عاشت عاشت .

علت الهتافات أرجاء المؤتمر ووافقت الحكومة على قرار التجنيد الإجباري في 19 كانون الأول ودخلت سوريا أولى مراحل تأسيس الجيش ، كان لهذا الخبر وقع في آذان الشعب السوري الذي ملأ أرجاء دمشق صيحات وهتافات فرحاً بهذا القرار ووصل خبر التجنيد الإجباري إلى فرنسا التي كانت قد أعدت العدة لذلك مسبقاً فقامت بتعيين المسيو جورج بيكو بطل معاهدة سايكس بيكو مفوضاً سامياً على سوريا ولبنان الذي سرعان ما إستبدلته لاحقاً بالجنرال غورو .

فـور تسـلم الجنـرال غـورو زمـام المفوضـية الفرنسـية سـهل السـبل لغبطـة البطريـرك المـاروني لأجـل الحصـول على مضـابط أغـروا النـاس علـى توقيعهـا بـدعوى أنهـم إذا إلتحقـوا بلبنـان فسـيعفون مـن الضـرائب التي يؤدونهـا في سـوريا ويسـتثنون مـن الجنديـة شـأنهم شـأن سـكان لبنـان عامـة وذلـك لإشـتراطات بينهم وبين إنكلترا حـول المحافظـة على مدن إنكلترا الاربع وهي : دمشق حمص حماة وحلب .

عـاد الأمير فيصـل ضـمن احتفـالات وفـد شـعبي وعسـكري كبير ، فقـد كانـت جمـوع النـاس فرحـة عنـد عـودة الأمير فيصـل واثقـة بعـودة أميرهـا حـاملاً الإسـتقلال التـام لـبلادهم بعـد تـذكير الأمير فيصـل الـدائم لبريطانيـا بوعـد تسـليح جـيش مكـون مـن لـوائين ، لـم يـدرك النـاس حينهـا أن الامير فيصـل كـان حـديث العهـد بالسياسـة فارتكـب خطـأين عظيمـين ، الأول: في قبولـه وعـد بلفـور بالتعـاون مـع الإنكليـز الـذين وعـدو اليهـود بتـوطن فلسـطين لتسـتفيد الـبلاد مـن رؤوس أمـوالهم فسـاقوا لـه الـدكتور وايزمـان رئـيس الجمعيـة الصـهيونية الـذي توصـل بدهائـه أن حصـل منـه على كتـاب بتسـهيل تعـاون اليهـود مـع العـرب ، والخطـأ الثـاني: في قبـول مبـدأ الانتـداب حـين إلتـف دهاقنـة السياسـة حـول الأمير فيصـل فسـاقوه إلى أن يرفـع للمـؤتمر تقريـراً أن سـوريا هي بـلاد بلغـت مـن الرقي درجـة تؤهلهـا لحكـم نفسـها بنفسـها ولكنهـا مـا زالـت في حاجـة الى المعونـة والإستشـارة الاجنبيـة ، كـان أول المسـتقبلين للامير

فيصل الجنرال غورو نفسه الذي إحتفل به ، في حين كان الامير فيصل مثقلا بالعبئ الذي حمله على نفسه وعلى بلاده .

- الجنرال غورو :

Prince Faisal .. Prince du Levant .. Bienvenue

(أمير فيصل .. أمير بلاد الشام .. اهلا وسهلا)

- الامير فيصل :

Merci de m'avoir accueilli mon général

(شكراً جنرال غورو)

- الأمير زيد بن الحسين : طمنني سمو الأمير كيف كانت محادثات سموكم بالمؤتمر ، هل حصلنا على الإستقلال التام متل ما وعدتوا سموكم الشعب .

- الأمير فيصل : نعم يا أمير زيد لكن متل ما بتعرف الموضوع بياخد وقت ومو سهل .. بيحتاج فترة

- رضا الركابي : يعني لسا ما حصلتو على موافقة المؤتمر سموكم ؟

- الأمير فيصل : لا حصلنا طبعاً .. ولكن الموضوع بحاجة لخطة عمل عميقة بشكل أكبر وخطوات مساعدة بيننا وبين الحلفاء والدول الصديقة .. رح اشرحلكم هالشي لاحقاً.

نظر النائب رضا الركابي الى الأمير زيد نظرات إستغراب وتفكير عميقة ، لم يجرأ الامير فيصل حينها على التصريح بالحقيقة والتزم طريق التمويه واخذ يتلعثم في أقواله ويناقض نفسه قائلا على إحدى الموائد :

" مبدأي هو استقلال البلاد والله يشهد اني ساع لذلك ولا اظن انه يوجد رجل واحد يرضى بالاستعباد للاجنبي اعود فأوكد لكم انني عازم على الاستقلال التام الاستقلال الذي لا يجعل لامة من الامم حق السيطرة عليكم "

تبادل الناس نظراتهم الحائرة من هذا الخطاب في حين إبتسم الجنرال غورو إبتسامة نصر وتأييد من على كرسيه ، فيما تسائل أعضاء البرلمان بين بعضهم :

- شو قصد الأمير فيصل من هالكلام ؟

فأجاب الكثير منهم بالنفي :

- : والله ما منعرف بس نحنا مو متطمنين بنوب .. هاللهجة غريبة بنبرة خطاب الامير ؟

صمت الناس في خوف وقلق وهم يشيحون بأنظارهم إلى الجنرال غورو الذي نهض ممتطياً عربته في عز وسعادة .

سادت فكرة عامة بين الناس آنذاك على غرار نوال الاستقلال الذي بشر به الأمير فيصل بين الناس وكانت هذه أحد الايام القلقة التي عرفتها دمشق وأهلها على مر التاريخ الايام.

وبعد أيام جلس الأمير فيصل مع أخيه الأمير زيد بن الحسين في جلسة ثنائية لتدارس أوضاع البلاد :

- الأمير زيد بن الحسين : يا سمو الامير العصابات توسعت كتير بأراضي البلاد من وقت تم إنسحاب الانكليز ، العصابات ملت كل ارجاء البلاد وبالقنيطرة العصابات صارت أخطر من كل العصابات الموجودة ، نحنا لازم نردعهم بأي تمن.
- الأمير فيصل : بلادنا ما عندها القدرة الكافية لردع هي العصابات يا أمير زيد .. نحنا لسا ضعاف بالمرحلة الحالية .. بس أنا رح إردعهم

- الأمير زيد بن الحسين : كيف يا سمو الأمير ؟
- الأمير فيصل : رح خابر الجنرال غورو فوراً ورح أطلب دعم قواته إلنا لردع هالعصابات المسلحة اللي عم تهاجمنا.

إستل الأمير فيصل هاتفه واتصل بالجنرال غورو ، إلا أن مخابرة الأمير فيصل لم تكف لردع تلك العصابات التي بدأت بالتكاثر

والتسلح ، فجرد الجنرال غورو فصيلة من الجيش الفرنسي وأرسلها إليهم بدلالة أهل جديدة مرجعيون المسيحين في المحل المدعو البحصاص من أرض الحولة في قضاء القنيطرة حيث قصر الأمير محمد الفاعور رئيس قبيلة الفضل .

بعد أيام في منطقة أخرى وبعيداً قليلاً عن دمشق هناك في البحصاص علا صهيل الخيول على زقزقة الطيور حين دار حديث بين قائد فصيلة الجيش الفرنسي ومعاونه .

- قائد الفصيل الفرنسي:

Je suis sûr que le prince Mohammed al-Faour est à la tête des gangs, voir pour garder sa maison, il doit nourrir ces traîtres chez lui

(أنا متأكد أن الأمير محمد الفاعور هو رئيس هي العصابات ، أنظر للحراسة حول منزله ، لابد أنه يؤي إليه هؤلاء العصابات في منزله)

- معاون قائد الفصيل الفرنسي :

Que commandez-vous, monsieur, les attaquons-nous et nous les détruirons pour le père de leur père?

(بماذا تأمر يا سيدي ، هل نهجم عليهم فنبيدهم ؟)

- قائد الفصيل الفرنسي :

Non, mais nous ordonnerons à nos troupes de frapper la maison du prince et de le détruire immédiatement

(لا .. لن نهجم عليهم .. لا أريد أن نخسر رجالنا معهم .. سنأمر قواتنا بضرب منزل الامير ونهدمه في الحال)

نادى قائد الفصيل بأعلى صوته :

Dirigez vos armes et vos canon vers la maison du prince maintenant .. Lancer .. Feu

(صوبوا مدافعكم وأسلحتكم إلى المنزل الآن .. إطلاق .. نااار)

- حارس الأمير الفاعور : سيدي عربات الفرنسيين عم تقصف القصر

- الأمير الفاعور : وصلت معهم إنه يهاجموا بيتي .. انا الامير محمد الفاعور يهاجمولي بيتي .. جهزوا أسلحتكم .. والله لخليهم عبرة لمن إعتبر .. تحركوا .

صرخ الأمير الفاعور بحارسه ومرافقيه الذين إنطلقوا كرصاصة مسرعاً ، نادوا على الحراس والمسلحين الذين إنتفضوا من أسرتهم خوذهم ودروعهم ، تناولوا بندقياهم وانطلقوا من قصر الأمير يتقدمهم الامير محمد الفاعور بنفسه الذي نهض للذب عن حياضه وحمل عشيرته على تلك الفصيلة فدحرها ثم صرخ بمن معه :

- الامير الفاعور : انطلقوا الى قرية الجديدة ... هيا!!!!

اقتحم الأمير الفاعور قرية جديدة مرجعيون وأوقع فيها مقتلة وأحرق بعض دورها وعاث فيها خراباً فبلغ هذا الأمر الأمير فيصل الذي غضب جداً لوقع هذا التصرف من الأمير الفاعور فاتصل مجددا بالجنرال غورو

- الامير فيصل :

Oui mon général, Prince faisal a la parole

(نعم جنرال .. الامير فيصل يتحدث)

- الجنرال غورو :

Oui Je t'ai reconnu, vas-y parle

(لقد عرفتك .. تفضل)

- الامير فيصل :

Oui Concernant les gangs

(بخصوص العصابات .. نعم)

بدأ الأمير فيصل بالتحدث ولم تطل تلك المخابرة بين الأمير فيصل والجنرال غورو بشأن هذه العصابات ، وإنتهت المخابرة بتعهد الأمير فيصل بمنع تعرض المسلحين لبلاد الساحل ولكن على الرغم من تعهده لبثت بعض العصابات المسلحة دائبة على أعمالها ففرض الفرنسيون على أهل جبل عامل الذين كانوا يؤوون العصابات في قراهم ودورهم مائتي ألف دينار جزاءاً نقدياً .

السادس عشر من كانون الثاني 1920

وعد كليمنصو الأمير فيصل بحصول سوريا على برلمان مستقل يحق له فرض الضرائب وسن القوانين ويعترف بفيصل رئيساً لسوريا ووافقت فرنسا أن لا تضع قواتها في الجزء العربي من سوريا إلا أن الأمير فيصل كان يخشى القوميون الذين لن يقبلوا بهذا الأمر فسعى جاهداً الى تهدئتهم في خطابه ووافق الأمير فيصل في كانون الثاني 1920 على ذلك ، أما ياسين

باشا الهاشمي فقد عارض أي اتفاق مع الفرنسين وقاد مظاهرات حادة ضد فيصل كليمنصو .

السابع من آذار 1920م

سقطت الدولة العثمانية رسمياً وتمت مبايعة الأمير فيصل بن الحسين ملكاً وتم الإعلان عن قيام المملكة السورية العربية بشكل رسمي ترافق معها خروج مسيرات ونداءات مطالبة بإستقلال سوريا في جميع الحارات الدمشقية ويتقدمهم المثقفون أولاً وهم يرددون الشعارات والهتافات المطالبة بالإستقلال ، في حين جلس الامير فيصل مع بعض أعضاء برلمان الشام ممن حضرو المؤتمر السوري العام وبدأ الملك فيصل حواره معهم :

- الملك فيصل :

" انا قبلت الإنتداب الفرنسي على سوريا بشرط إحتفاظ البلد بإستقلالها الداخلي ووحدة وسلامة أراضيها ، اللي عم تعمله حكومة الإنتداب الفرنسي بالتنصل من بنود الإتفاق لا يمكن ينسكت عليه ، و أنا لا يمكن إسمح بتقسيم سوريا مهما كان الثمن "

- الأمير زيد بن الحسين : الشعب عم ينادي بالإستقلال وتوسيع رقعة وقوة الجيش السوري يا جلالة الملك ، خصوصي بعد إعلان سقوط حكومة كليمنصو بفرنسا ، بقترح على معاليكم عقد إجتماع عاجل للمجلس السوري الوطني فوراً نبحث فيه آلية البدء بتنظيم استقلال البلاد ووحدة اراضيها .

ينظر الملك فيصل نظرة تأمل بعينيه وحاجبيه المعقودين يلمحان باستيائه :

- الملك فيصل : وهاد اللي رح يصير .

أعلن مجلس الشيوخ السوري حينها أن إتفاق كليمنصو فيصل ملغى وأرسل الامير فيصل برقية إلى المسؤول عن معمل الجيش السوري مع حاجبه ، قرأها المسؤول بنظرات مشدودة ثم مال برأسه جانباً متعجباً بما قرأه ثم أردف قائلاً :

- ضابط المعمل : تلاتين الف بدلة عسكرية مرة وحدة .. بشو عم تفكر يا امير فيصل !!

الثامن آذار 1920م

دخل حاجب الملك الى مكتب الملك فيصل بوقار :

- الحاجب : سمو الامير .. أعضاء المجلس الوطني السوري بإنتظار سموك

- الملك فيصل : أنا جاية فوراً .

نهض الملك فيصل للذهاب إلى قاعة المؤتمر إلا أن رنين هاتف مكتبه أوقفه ، فاتجه للإجابة:

- القنصل البريطاني :

Hello, Im Mark British Consul in Damascus, Can I talk to the prince Faisal

(مرحباً ، أنا مارك القنصل البريطاني في دمشق ، هل لي التحدث مع سمو الملك فيصل)

- الملك فيصل :

Yes, speeking

(بالتأكيد ، الملك فيصل يتحدث معك الآن)

- القنصل البريطاني :

I've heard that you are going to declare independence, right ?

(لقد سمعت أنك ذاهب لإعلان الإستقلال ، أهذا صحيح ؟)

- الملك فيصل :

Yes, I am going to the conference now to declare independence

(صحيح ، أنا ذاهب الآن إلى المؤتمر لأعلن الاستقلال ؟)

- القنصل البريطاني :

I advise you and Syrian General Conference to postpone the declaration of independence to be after San Remo Conference,in order not to raise French anger from your announcement.

(أنصحك وأنصح المؤتمر السوري العام بتأجيل إعلان الإستقلال لما بعد مؤتمر سان ريمو كي لا تثير غضب فرنسا بذلك)

- الملك فيصل :

We can not, We are serious about declaring independence, thanks for your advice.

(لا نستطيع ، نحن جادون في اعلان الاستقلال وشكراً لنصيحتك)

أغلق الملك فيصل السماعة وخرج من غرفته بإتجاه قاعة المؤتمر ليبدأ المشهد بإجتماع المؤتمر السوري وإعلان الإستقلال وإصدار بيان ببنوده ، جلس الملك فيصل وألقى المستشار القائم مقام بيانه بين الجموع :

" إستجابة لنداءات شعبنا العربي السوري ومنطلقاً من إيماننا بحق الشعوب في تقرير مصيرها ورداً على الإنتهاكات والإعتداءات الممنهجة التي تقوم بها الحكومة الفرنسية على أراضينا فإننا نعلن اليوم إستقلال المملكة العربية السورية ، ونقرر في بياننا ما يلي :

1. **استقلال البلاد السورية وسيادتها المطلقة ووحدة اراضيها ويكون النظام فيها نيابي ملكي.**
2. **يعين سمو الامير فيصل ملكاً دستورياً على البلد بالإجماع ويلقب بجلالة الملك .**
3. **تعيين حكومة ملكية مدنية يعين فيها علي رضا الركابي قائداً أعلى للحكومة وتعيين القائم مقام يوسف العظمة وزيراً للدفاع السوري**
4. **تحويل اللغة إلى العربية بدل من التركية وتحويل العملة المحلية الى المصرية بدلاً من التركية**
5. **رفض وعد بلفور الصهيوني جملة وتفصيلاً في جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود**

6. رفض الوصاية البريطانية والفرنسية على العرب.

إننا في المملكة العربية السورية ندعو جميع الدول والأحزاب والحركات السياسية لإحترام هذا الحق الشرعي والطبيعي في الحياة للشعب السوري .. عاشت سوريا حرة أبية "

أصدر المؤتمر السوري العام بيان الإستقلال، ورفض في بيانه أي تقسيم للبلاد، وأكّد على تعاونها مع العراق وبايع فيصل بن الحسين ملكًا دستوريًا على سوريا، كذلك فقد أقرّ المؤتمر الحكم الذاتي لجبل لبنان واللامركزية الإدارية لسائر المناطق ، وتطرق بيان إعلان الإستقلال لحقوق الشعوب في تقرير مصيرها ومبادئ الرئيس الأمريكي ويلسون، ورفض المشاريع الصهيونية أو أي تقسيم لسوريا.

جاءت هذه الخطوة من طرف واحد، أي من دون موافقة الحلفاء المسبقة، وكان القنصل البريطاني في دمشق قد نصح فيصل الأول وكذلك المؤتمر السوري العام بتأجيل إعلان الاستقلال لما بعد مؤتمر سان ريمو، لكن المؤتمر دعا الحلفاء ودول العالم: **"لاحترام هذا الحق الشرعي والطبيعي في الحياة"**.

كما طالبوهم بالانسحاب من المناطق المحتلّة "الغربية والجنوبية" في سوريا، وتوج الملك فيصل في مبنى البلدية في ساحة المرجة بدمشق ،

ثارت الجموع ونهضت الحشود تهتف عاشت سوريا حرة أبية وخرج الأعضاء من المؤتمر إلى الشوارع العامة والساحات والأزقة في إحتفال مهيب ، عمت الأفراح دمشق "عاصمة الياسمين" ونشرت كلمات الحفل، في الجريدة الرسمية يوم 11 آذار؛ وختم الحفل بإطلاق المدفعية مائة طلقة ابتهاجًا بإعلان الإستقلال.

يقول عبد الله الأول شقيق الملك فيصل وملك الأردن في مذكراته، أن مظاهر فرح جمّة عمت جميع المدن الشاميّة في أعقاب إعلان الاستقلال وخصوصاً في بيروت والقدس، بيد أن عبد الله الأول ينتقد إعلان الاستقلال ويقول أنه جاء متسرعاً وهدف إلى وضع الحلفاء تحت سلطة الأمر الواقع، الأمر الذي لا يمكن أن يقبلوا أن يفرض عليهم بهذه الطريقة والتي كما قال أنها ضد إرادة الشريف حسين بن علي والدهما .

إعتبر الفرنسيون أن الملك فيصل أيد آراء القوميين السوريين وظل البريطانيون صامتون على التصريحات الفرنسية السورية ، ربما كان الملك فيصل مجبراً بشكل او آخر على الموافقة بإعلان الإستقلال أو خسارة التاج الملكي ، فقد كان يأمل أن يرضي هذا الإعلان القوميين العرب والسوريين كي يتمكن من مفاوضة البريطانيين والفرنسيين ، بات وضع الملك فيصل ضعيفا حينها لأنه

فقد قدرته على المساومة مع الفرنسين بسبب القوميين الذين رفضوا وجود أي نوع من أنواع المساومات.

" إنَنَا نَعيشُ فِي عالَمٍ كَبِيرٍيَتَجَاوزُ دائِمَاً سَقفَ تَوَقُعَاتنَا ، فَإِن نَحنُ لَم نُحسِن التَقدِيرإذاً علَينًا أن نُسَدِد ثَمَنَ أخطَائِنًا "

التاسع من آذار 1920م

أشرق الصباح وتزينت الحارات والشوارع وبدأ جموع الناس بالتوافد والهتاف ، حضر التتويج أعضاء الطبقة السياسية من الحكومة والمؤتمر وممثلين عن دول أجنبية رؤساء الطوائف الإسلامية والمسيحية واليهودية، وكذلك حشد من الوجهاء؛ في حين غصّت ساحة المرجة بالجموع والأعلام كما وضعت أعلام المملكة السورية فوق المؤسسات والمنازل في حين توج الملك فيصل والحاكم علي رضا الركابي والوزير يوسف العظمة وختم الحفل بإطلاق المدفعية مائة طلقة وطلقة وإستحدثت أول عملة سورية هي **"الدينار السوري"** .

وصل خبر إعلان إستقلال سوريا وتتويج الملك فيصل الذي إتخذ دار نوري باشا في الصالحية مقراً له وأحدث لنفسه حاشية وديواناً إلى الجنرال غورو، فصرخ غورو محطماً ما حوله غاضباً قائلاً :

- الجنرال غورو :

Malheur à vous, Syriens ... vous ne pouvez pas jouir de l'indépendance de votre pays ... tant que je demeure vivant

(الويل لكم أيها السوريون ... لن تنعموا باستقلال بلادكم .. ما دمت حيا)

المشهد الثاني
الـــزحـــف والـــوعيـــد

الثاني من أيار1920م

على ضجيج وشجار أعضاء البرلمان مع الركابي إثر شكوك كبيرة بعمالته لفرنسا حسب زعمهم بسبب إغتيالات العديد من القوميين الوطنيين إستقال في 2 أيار، وكلّف الملك فيصل رئيس المؤتمر العام هاشم الأتاسي في 3 أيار بتشكيل الحكومة ، فشكلها في اليوم ذاته ، واحتوت على شخصيات وطنية مثل يوسف العظمة وعبد الرحمن الشهبندر .

رفض حلفاء فرنسا الإعتراف بالدولة السورية الوليدة في نيسان من عام 1920 وقاموا بعقد مؤتمر سان ريمو المنعقد في إيطاليا كما رفضت الحكومة السورية آنذاك وكذلك المؤتمر العام مقررات مؤتمر سان ريمو وأبلغوا دول الحلفاء بذلك تباعاً بين 13 و21 ايار 1920 وكانت الأصوات تتعالى في سوريا للتحالف مع كمال أتاتورك في تركيا، أو الثورة البلشفية في روسيا .

شهدت حلب لقاءات بين وزير الحربية يوسف العظمة، ووفد تركي ممثل لمطصفى كمال، حول دعم السوريين في نضالهم ضد فرنسا، غير أن تلك اللقاءات لم تؤد إلى نتيجة بسبب أن أتاتورك كان

يستغل السوريين لتحسين شروط تفاوضه مع الفرنسيين، فأدار ظهره للسوريين وعقد إتفاق هدنة مع فرنسا عُرف بمعاهدة أنقرة عام 1921 التي شملت تنازل سلطة الاحتلال الفرنسي عن الأقاليم السورية الشمالية وإنسحاب الجيش الفرنسي منها، وتسليمها للسلطة التركية الوليدة. في تموز 1920، أقرّ المؤتمر الدستور رسميًا، وكان الصدام العسكري على قاعدة "إعلان الجهاد" صاحب الشعبية الأعلى في المؤتمر السوري العام والصحافة، وكذلك الشارع.

الحادي والعشرين من ايار1920م

كانت الخطة الفرنسية بعد سماع خبر الأستعراض العسكري المهيب الذي قام به يوسف العظمة بسيطة جداً ، وذلك بأن يتم إعطاء فيصل إنذارا نهائيا لإيقاف هجمات العصابات المسلحة وفي حال لم يتم الإلتزام فإن فرنسا ستحتل دمشق وحلب فوراً ، كان واضح أن ميلر ينتهز الفرصة لإنهاء أمر غزو دمشق نهائياً كما كان غورو متحمساً لإنهاء تلك المعركة ، قام عملاء فرنسيون بتجنيد عملاء سوريين ممن يودون إنهاء حكم الملك فيصل ، وفي اليوم التالي قررت الحكومة الفرنسية أن تسحق فيصل والقوميين السوريين بالقوة

وتـم إصـدار الأوامـر إلى غـورو ووعـده بتعزيـزات لضـرب دمشـق ، جمـع الفرنســيون مــا يكفــي مــن القــوات والعتــاد لضــرب دمشــق وأدرك فيصـل أن القـوات الفرنسـية تسـعى لـدخول دمشـق فسـعى للحصـول على هدنة .

أواخر حزيران 1920م

أرسل الملك فيصل في طلب المستشار نوري الذي دخل مكتب الملك فيصل سريعاً ، وجه الامير فيصل كان قاطباً ذلك اليوم ، أدرك المستشار نوري السعيد يومها أن هناك خطب جلل ، فبادر بسؤال الملك :

- المستشار نوري : السلام على جلالة الملك ..
- الملك فيصل : عليك السلام ورحمة الله مستشار نوري .. تفضل بالجلوس
- المستشار نوري : لك الامر يا جلالة الملك
- الملك فيصل : مستشار نوري .. (ويحدق الملك في عيون المستشار) الفرنسيين إتخذو قرارهم بدخول دمشق وما عاد نقدر نتصرف شي
- المستشار نوري : بس يا جلالة الملك .. (يقاطعه الملك)

- الملك فيصل : اللي بدي ياه منك تروح للفرنسيين وتقنعهم بهدنة حتى نحضر حالنا للحرب ، يمكن هي آخر خدمة فيك تقدمها تجاه بلدك واهلها يا مستشار نوري .

- المستشار نوري : أمرك جلالة الملك (ويأخذ رسالة الملك فيصل) ويستأذن من الملك فيصل بالرحيل .

- المستشار نوري : السلام على جلالة الملك ..

- الملك فيصل : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته (يصافحه ويربت على كتفه) ثم يخرج من المكتب.

الاربعاء 10 تموز 1920م

يشرق الصباح على دمشق وتفتح المحلات التجارية أبوابها يتخللها مرور المثقفين بالحارة يحملون حقائبهم في حين يجتمع زعامات دمشق عند مخاتير حاراتهم لمناقشة الوضع الراهن لبلدهم :

- المختار : سمعتوا الأخبار مبارح
- مجموعة من زعامات دمشق : اي والله .. الله يجيرنا .. يا لطيف .. الله يتلطف فينا
- المختار : الأخبار ما بتطمن بنوب يا جماعة

- أحد زعماء دمشق : عم يقولوا إنه صار رايح من الفرنسيين اكتر من تلت الآف عنصر

- مجموعة من زعامات دمشق: الله محي رجال الشام .. الله يقويهم .. معقول تلت الآف عنصر يا مختار

- المختار: اي والله يا جماعة هاد اللي سمعته

- - أحد زعماء دمشق : خلونا نكمل نشرة الاخبار بالراديو ونعرف شو القصة .. لك !!

في حين يمر بائع الجرائد من أمامهم فيأخذ أحد أهالي دمشق الجريدة من البائع ويقرأ ما جاء فيها :

" وقد تصاعد الحراك السوري ضد الجيش الفرنسي على حدود المنطقة الشرقية العسكرية مما أسفر عن مقتل عدد كبير من الجيش الفرنسي وأسر آخرين في معارك متفرقة في البلاد أبرزها مجدل عنجر"

- أحد زعماء دمشق : ما قلتلكم الأخبار ما بتطمن بنوب

يكمل قراءته للخبر مجدداً :

" هذا وقد أرسل صاحب الجلالة الملك فيصل الاول ملك المملكة العربية السورية وفداً يترأسه سعادة المستشار نوري السعيد الى المندوب السامي في فرنسا الجنرال غورو للإتفاق على هدنة من أجل وقف أعمال العنف في البلاد "

نظر الجميع لبعضهم نظرة تساؤل واستفهام .

- أحد زعماء دمشق: الوضع ما بيطمن بنوب يا جماعة نحنا لازم نروح لعند الوزير يوسف العظمة ونطلب منه فتح التطوع بالجيش السوري
- أحد زعماء دمشق : نحنا لازم نكون مع بلدنا بهالموقف .. ما لازم نضل قاعدين .. ما لازم .. ما لازم .. شبكم ساكتين !! (يصرخ)
- المختار : يا جماعة .. يا جماعة .. الحكومة السورية ما عم تقصر والوزير يوسف العظمة إنسان مثقف ووطني وشريف .. وأكيد لما يحتاجونا رح نعرف هالشي بالصحف والراديو .. وأنا أولكم رح وقف ودافع عن بلد انا وابني فداءاً للشام وترابها
- أحد زعماء دمشق : كلام المختار مزبوط .. يالله يا جماعة خلونا نقوم على اشغالنا .. أنا بستأذن منكم
- مجموعة من زعماء الحارة : ونحنا كمان قايمين معك .. عن إذنك مختار .. سلام عليكم
- المختار : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

وعلى الجهة الأخرى .. يدخل الملك فيصل ويجلس على مكتبه باللباس العسكري وأمامه القائد العام والقائم مقام ووزير الدفاع يوسف العظمة ومجموعة من خيرة الضباط السوريين :

- الملك فيصل : تفضلوا .. أنا جمعتكم لنتناقش بخصوص مستشارنا نوري السعيد اللي بعتناه بمهمة نقل رسالتنا للجنرال

غـــورو بلبنـــان .. وهـــي مـــر عشـــر أيـــام ومـــا وصـــلنا رد ولا رجـــع مستشارنا.

- الـوزير يوسـف : جلالـة الملـك فيصـل .. إنـت بتعـرف إنـه الجنـرال غـورو مـا إجى مـن فرنسـا لهـون إلا ليحتـل بلـدنا وهدفـه أكيـد مـا رح يكون غير هيك.
- الملـك فيصـل : لازم نسـمع رد الجنـرال غـورو مـن المستشـار نوري على رسالتنا بالأول وبعدين منتصرف على أساسه.

ينهي الملك فيصل كلامه وينظر لضباطه بوقار ثم ينظر نظرة جانبية تروي ما كان يشعر به وما سيحدث فعلاً خلال أيام قليلة ستجعل دمشق تمر بحدث تاريخي عظيم يكتب في تاريخها إلى الابد ويصبح ميراثـاً شـرعياً لأبنهائهـا يتدارسـونه ويقرأونـه ويروونـه لبعضـهم ولإحفادهم يوماً بعد يوم .

" إذا حلـت المصـيبة فـلا يجـب علينـا أن نكتفـي بإنتظـار القـادم مـن المجهـول ، علينـا أن نواجـه أقـدارنا مهمـا كانـت عصـيبة ، بإيمـان عابِدٍ وحكمةِ قائِدٍ وشجاعة مُقاتِلٍ غَيرِ مَخذُول"

الحادي عشر من تموز 1920م

دخل حاجب الملك فيصل مقاطعاً حوار الوزير يوسف مع الحضور ويقف بجواره ويخبره :

- حاجب الملك فيصل : جلالة الملك .. المستشار نوري بالباب بيطلب مقابلتك .
- الملك فيصل : يشير بيده .. خليه يتفضل .. بسرعة

يدخل المستشار نوري أمام الملك ويجلس في حين يشبك الملك فيصل أصابعه ببعضها وهو وينظر بهدوء الى نوري

- المستشار نوري : السلام على صاحب الجلالة الملك فيصل
- الملك فيصل : وعليكم السلام مستشار نوري شو كان رد الجنرال غورو على رسالتنا
- المستشار نوري : للأسف يا جلالة الملك ، الجنرال غورو رفض طلب الهدنة وبعت معي لجلالتكم انذار شفهي .

سمع الملك فيصل الرسالة على لسان مستشاره التي جعلت عقدتي حاجبيه أشد تعقداً ثم طلب من حاجبه إعلام جميع اعضاء المؤتمر السوري العام وضباطه بحضور إجتماع طارئ في الغد دون أن يخبر أحداً عن مضمون رسالته .

الرابع عشر من تموز 1920م

دخل غورو الرياق ثم أرسل انذاراً نهائياً للرد على انذار 11 تموز ، حاول الملك فيصل طلب مساعدة البريطانين إلا أن البريطانيين لم يتدخلوا بسبب إتفاقية سان ريمو.

السابع عشر من تموز 1920م

عقد المؤتمر السوري العام «جلسة صاخبة غير عادية» ، رفضوا من خلالها الإنذار بجميع بنوده وأعلنوا فيها سحب الثقة من الحكومة علنياً .

سلم الحاجب للملك فيصل من الجنرال غورو عن طريق القمندان ماندر رسالة إنذار موقعة باسم الجنرال غورو ومختومة من حكومة الإنتداب الفرنسي ، فتح الملك فيصل الرسالة المعنونة باسم إنذار غورو ثم قرأها على الأعضاء والضباط الحضور بصوت مسموع وشاحب:

" من الجنرال هنري جوزيف أوجين غورو المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سوريا وكيليكيا والقائد العام لجيش

الشرق إلى صاحب السمو الملكي الملك فيصل .. أما بعد : نتيجة لأحداث العنف التي وقعت بينكم وبين عناصر من قواتنا الفرنسية وقيامكم بـ...

(يلتفت الضباط وينظرون لبعضهم نظرات غضب وقلق)

فإننا نبلغكم بأن عليكم الإقراروالإعتراف بالإنتداب الفرنسي ومشروعيته وأحقيته على كل شبر من اراضي الجمهورية العربية السورية والموافقة على حل الجيش السوري وتسريحه بالكامل بما فيه من عمليات التجنيد الاجباري ومحاولات التسليح العسكرية والتعامل بالنقد الورقي الذي أصدره مصرف سوريا ولبنان في عاصمتنا باريس وتمنح قواتنا الفرنسية حق التصرف بجميع محطات السكك الحديدية بما فيها سكة رياق وفي حمص وحلب وحماة كما يتوجب عليكم تأديب جميع المجرمين اللذين كانوا أشد أعداء لفرنسا وتجريمهم ومعاقبتهم بأقسى العقوبات ، وإني أمنحكم مهلة اربعة أيام للنزول عند مطالبنا والموافقة عليها بالكامل أو رفضها بالكامل ، كما عليك ان تعلم ان فرنسا وموفوضتها السامية لن تقع عليها عاقبة رفضكم وستدفع دمشق غالياً ثمن رفضكم هذا..

التوقيع / الجنرال غورو- المفوض السامي للجمهورية الفرنسية في سوريا وكيليكيا والقائد العام لجيش الشرق"

لـف الملـك فيصـل الرسـالة ووضـعها على مكتبـه وخـيم صـمت قاتـل على جميع الحاضرين .

بـدأت ردود أفعـال الضـباط علـى رسـالة الجنـرال غـورو بالغضـب والنقاشـات الحـادة المتصـادمة فيمـا بينهـا في حـين بـدأ الـوزير يوسـف العظمة رده مخاطبا الملك فيصل:

- الـوزير يوسـف : جلالـة الملـك .. هـاد الـرد كـان متوقـع مـن الجنرال غـورو .. نحنـا لا يمكـن نسـمحله يـدخل دمشـق.. نحنـا كلنـا رجـال ونسـاء وشـيوخ وأطفـال مسـتعدين نوقـف بوجـه الجنـرال غـورو والإحـتلال الفرنسـي لاخـر روح فينـا.. كـل شـي الا الاحـتلال يـا جلالـة الملك .. كل شي الا الاحتلال .

حـاور القـائم مقـام علـي الـوزير يوسـف أمـام الملـك فيصـل بنبـرة صـدق وحكمـة واسـتهل يشـرح للـوزير وفـق مخطـط مرسـوم تشـكيل الجـيش السوري والفرنسي والفرق فيما بينهما .

- القـائم مقـام علي : جلالـة الملـك .. سـيدي الـوزير .. أنـا دائمـاً كنـت ورح ضـل مستشـاركم الأمـين وابـن دمشـق البـار .. بـس لازم نتصـرف بحكمـة وهـدوء .. أعـداد قـوات الجنـرال غـورو بيبلغـوا ثلاثـة أضـعاف

أعـداد جيشـنا ، جيشـنا مكـون مـن أربعـة آلاف جنـدي واثني عشـر مـدفعًا كبيرًا و36 قنبلـة ثقيلـة ، أمـا تشـكيل جيشـهم مؤلـف مـن لـواء مشـاة ولـواء الرمـاة الجزائـريين الثـاني ولـواء سـينغالي مـن امهـر الرمـاة الافـريقيين ولـواء مـن السـباهي المغاربـة بالاضـافة للنضـائد الجبليـة والصـحراوية والطـائرات والـدبابات والرشاشـات والاسـلحة ، مـا رح نقدر نواجههم يا جلالة الملك ، ما رح نقدر .

نظـر الجميـع للقـائم مقـام الـذي نطـق في وجههـم عبارتـه الأخيـرة التي غمرها الحزن:

"لازم نو افق على احتلالهم دمشق"

غضب الوزير يوسف وخاطب الملك فيصل قائلاً :

- الـوزير يوسـف : يـا صـاحب الجلالـة .. لا تقبـل .. اذا قبلـت بالإنـذار الجنرال غـورو رح يرفـع مطالبـه أكتر انـا متأكـد مـن هجومـه علينـا حتى لـو قبلنـا الإنـذار ، عـم شـوفه على ابـواب دمشـق عـم يقصـفها بنيران دبابتـه ومدفعياتـه .. أرجـوك يـا صـاحب الجلالـة .. أرجـوك ... لا توافـق .. التـاريخ مـا رح يرحمنـا .. وأطفـال البلـد مـا رح تـدعيلنا اذا سـلمناهم دمشق .. أرجوك .

طلب الملك فيصل من الجميع إبداء الرأي وضج المؤتمر بكبرياء وكرامة أعضائه اللذين أستشاطو غضباً من الانذار الكبير.

- الملك فيصل : السادة الضباط تفضلوا أبدو ردودكم على إنذار غورو بالتوالي
- أحد الضباط : أنا مع قرار القائد علي ..
- ضابط آخر : أنا مع قرار القائد علي ..
- ضابط آخر: انا ضد قرار القائم مقام علي .

أيد أغلبية الضباط قرار القائد علي إلا الوزير يوسف واثنان آخران رفضا تسليم دمشق فخاطب القائد علي الوزير يوسف قائلاً :

- القائم مقام علي : وزير يوسف .. العواطف ما بتفيدنا نحنا جيشنا غير مسلح وغير مجهز بقوة كبيرة حتى انه غير قادر على القتال لفترة طويلة ، نحنا بحالة حرب والحرب سجال يوم بيوم.

رفض الوزير يوسف الفكرة مندهشاً وهو يقول :

- الوزير يوسف : أي خدعة .. هاد مستقبل شعب وتاريخ وطن نحنا رح نكتبه بإيدينا وبأرواحنا ودمنا .

نظر الملك فيصل الى الوزير يوسف بعدم قناعة ويأس :

- الملك فيصل : للاسف يا وزير يوسف .. الأغلبية متل ما شفت أقرت بإستسلامنا للجنرال غورو .. والقرار اتخذ ورح يتنفذ ، فيكم تتفضلوا هلأ .

نظر الوزير يوسف بحزن وصمت الى الملك وردد بيت شعر للمتنبي بصوتٍ ثائر :

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى ... حتى يراق على جوانبه الدم

كررها ثلاث مرات بغضب ثم نظر للضباط قبل أن يعود مرة اخرى بنظره للملك الذي نهض قائلا :

- الملك فيصل : شكراً السادة الضباط .. شكراً لآرآئكم .. تفضلوا على مهماتكم .

نهض الضباط من مقاعدهم ورحلوا منزعجين مما أسفر عن إستقالة الوزارة إلا أن الملك فيصل لم يقبل استقالتها ثم حُل المؤتمر السوري وغدا الملك فيصل وحيداً في مكتبه .

وعلى الصعيد الآخر واثناء خروج الضباط من القاعة الخارجية باتجاهات مختلفة ظل الوزير يوسف والقائم مقام يتحاوران وهما يمشيان للخروج من القصر ، توقفا للحظة ونظر الوزير يوسف للقائم مقام للمرة الأخير محاوراً له :

- الوزير يوسف : أنت بتعرف شو يعني قبولنا لمطالب الجنرال غورو ، قبولنا يعني خضوعنا ، يعني العار اللي رح يلحقنا ويكتبه بإسمنا التاريخ ، يعني الذل اللي رح نجيبه لرجال البلد ولشيخوها ونسوانها وأطفالها ، يعني قبولنا دخول التاريخ من بوابة الذل ، يعني دمار أهلي وأهلك وبيتي وبيتك وبيوت كل الشام.
- القائم مقام علي : انت بتعرف انه ما رح ننتصر بمعركتنا مع الجنرال غورو ، والدخول بهيك معركة جنون محض.

ضغط الوزير يوسف بابهامه على سبابته ونظر بصمت لبضعة ثوان في عيني القائم مقام وهو لا يملك رداً كافياً ثم مضى يتبعه القائم مقام بصمت عند مرور بعض الضباط الاخرين ووقوف القائم مقام متحدثاً إليهم لكن الوزير يوسف لم ينتبه إليهم لانشغاله وتفكيره في انذار غورو وظل متجهاً خارج القصروهو يردد في نفسه :

"يا شام إنتِ كرامتنا والروح بترخصلك يا شام"

الثامن عشر من تموز 1920م

دخل أعضاء المؤتمر السوري العام قاعة القصر الملكي بعد أن رفض الملك فيصل إستقالتهم والصمت يخيم على مُحيا الاعضاء ووجوههم :

- الملك فيصل : بحضور السادة اعضاء المؤتمر وبناءاً عن تأجيل جلسة الامس بتاريخ 17 تموز نبدأ جلستنا الاستثنائية لإتخاذ القرار النهائي رداً على الانذار المستلم من الجنرال غورو ، تفضل وزير يوسف ألقي كلمتك امام السادة الحضور والاعضاء .

- الوزير يوسف : سمو الامير الجيش وجد ليقاتل حتى لو كانت نتيجة المعركة ضدّه ، لا خيار أمامنا سوى الدفاع عن دمشقنا وسوريتنا وعروبتنا اما م الفرنسيين ، لا مفر من !!

- أحد اعضاء المؤتمر : عن أي دفاع عم تحكي يا حضرة الوزير جيشنا ما بيعادل نصف الجيش الفرنسي ، نحنا ما بدنا ندمر دمشق ونقتل الناس.

- الملك فيصل : بس يا حضرة النائب انا شايف انه الجيش اللي أسسناه صار جيش قوي قادر على الدفاع عن السيادة الوطنية وحماية حدود البلاد من أي تدخل فرنسي أو أجنبي عليها لكن لازم نسرحه ونسلم العتاد لنحقن الدم.

- الوزير يوسف : يا جلالة الملك إذا سرحنا الجيش وسلمنا العتاد ما عاد نقدر نجمع الجيش والعتاد من جديد ، هيك منكون سلمنا أنفسنا وأهلنا للموت تحت هيمنة الإحتلال الفرنسي

- الملك فيصل : انا رأيي من رأي الوزير يوسف ، الدفاع عن البلاد هو الحل الانسب.

- القائم مقام علي : جلالة الملك إنت راعي ومسؤول عن الرعية بالبلاد ، الحرب ما رح تجبلنا إلا الموت ورح تيتم أطفالنا وترمل نسائنا ، السلام هو الحل الأنسب مو الحرب يا جلالة الملك، السلام هو اللي رح يمنحنا الفرصة لتدعيم صفوفنا ومالنا إلا .. !!

- الوزير يوسف : مستحيل ... مستحيل ... أنا لا يمكن إقبل بهالشي (وينسحب من الجلسة بغضب)

- الامير فيصل : يا حراس .. جيبوا الوزير يوسف

- الحراس : حاضر جلالتك

- الملك فيصل : هيك رأيكم ؟؟ (يصمت الاعضاء)

" إذاً قررنا بالاجماع قبول انذار غورو وحل الجيش وتوقيف جميع الاستحضارات العسكرية وينفذ هذا القرار في الحال وينشر في الجريدة الرسمية "

يتبع الحراس الوزير يوسف وجلس في مكتب الملك فيصل وهو يشتاط غضباً عندما دخل الملك فيصل عليه وهو يحمل مذكرة إتفاق أعضاء المؤتمر السوري ثم طلب من الوزير يوسف التوقيع على المذكرة فأجاب:
- الوزير يوسف : رح وقع يا جلالة الملك بس بقبولك للإنذار رح تخلي دمشق وسوريا بالكامل تدفع تمن غالي جداً (يوقع وينهض حزيناً).

انتهى ذلك اللقاء بين الملك "فيصل" والجنرال "يوسف العظمة" في جلسة كانت هي الاخيرة بينهما ، نزل فيها يوسف العظمة الى طلب الملك فيصل بالتوقيع على المذكرة ثم طلب منه خوض المعركة بمفرده وهو يقول:
- «هل يأذن لي جلالة الملك بأن أموت ؟.»!

أعلنت الحكومة في بيان تلاه وزير الحربية "العظمة" تعليق جلسات "المؤتمر" لمدّة شهرين ، هاج المتحمسون من الجيش وانتشر الخبر في أرجاء دمشق فاتهموا وزير الحربية بالجبن والخيانة وتعرضوا لسيارته في شارع النسجقدار وألقوا عليها المجمرات وحاولو دخول القلعة واخذ السلاح فمنعهم الأمير زيد بالرشاشات التي إستحضرها من الثكنات وإستعملها ضدهم.

وفي 19 تموز 1920 تلقت الحكومة برقية من غورو "يشكرها" على قبول الإنذار، ويدعو إلى تنفيذ جميع بنوده قبل 31 تموز. في اليوم

نفسه بدأت عملية تسريح الجيش، فهاجت دمشق، وسقط 200 ضحية نتيجة الاحتجاجات.

العشرون من تموز 1920م

قام الملك "فيصل" بمحاولة أخيرة للتفاهم مع "غورو"، وأرسل السيد "ساطع الحصري" وزير المعارف موفداً للتفاهم معه، وأثناء مرور "الحصري" على ميسلون في طريقه إلى بيروت طلب منه "العظمة" الذي كان يحاول لمّ فلول الجيش أن يحصل على أطول هدنة ممكنة ليتمكن من جمع ما يمكن من العتاد والسلاح.

" إيَاكَ أن تَرحلَ عَنِ الحيَاة بِعقلِك الذِي أتَيتَ بِه تَائِها ، بِجَسَدِكَ الذي سَيغدو تَحتَ التُرابِ ذائِبَا ، قِف وَلَو لِمَرةٍ فِي العُمرودافِع عن قَناعاتِكَ الصائِبَة ، إيَاكَ أن يَتَخَطفَكَ المَوتُ جَباناً هارِبا"

المشهد الثالث والأخير
ليلـــةُ سُقُـــوط دمشّـــق

السبت 23 تموز 1920م

بالرغم من قبول الحكومة السورية للإنذار والعدول عن فكرة المقاومة وقبول مطالب الجنرال غورو والأمر بتسريح الجيش السوري وسحب الجنود من روابي قرية مجدل عنجر مخالفة بذلك قرار المؤتمر السوري العام ورأي الشعب المتمثل بالمظاهرات الصاخبة المنددة بالإنذار وبمن يقبل به بدأت القوات الفرنسية بالزحف بإمرة الجنرال غوابيه وأمر من الجنرال غورو بإتجاه دمشق ، ولمّا سُئل الجنرال غورو عن هذا الأمر أجاب بأن برقية فيصل بالموافقة على بنود الإنذار وصلت إليه بعد أنتهاء المدة.

أرض ميسلون لليلة الرابع والعشرين من تموز 1920م

خرج يوسف العظمة في الرابع والعشرون ليتولّى قيادة الجيش في ميسلون وبعد أن صلى في الرابع والعشرين من تموز صلاة فجره الاخيرة إجتمع بالضباط الذين لم يتموا تنفيذ أمر تسريحهم وأبلغهم أن الحرب لابد قائمة وأوعز إلى جميع القوى لتكون على أهبة الاستعداد لصد العدو المهاجم، وألقى على قادته شفهياً

خطتـه الدفاعيـة الهجوميـة للـذود عـن دمشـق ، والتي تلخصـت في تنظيم خـط دفـاعي في وسـط الجبهـة على جـانبي الطريـق (القلـب)، مـع فـرز وحـدات خفيفـة إلـى يمـين ويسـار الجبهـة لحمايـة الجنـاحين (الجنـاح الأيمـن والجنـاح الأيسـر)، إضـافة إلـى وضـع ألغـام محليّـة الصنع على الطرق المؤدية إلى المنطقة.

تمركـز "العظمـة" في مركـز قيـادة الجبهـة في أعلى مرتفـع يشـرف على الجبهـة بكاملهـا، وبـدأ بالاسـتعداد لخـوض المعركـة التي اسـتمرت مـن الفجر حتى الظهر.

تعهـد الزعمـاء والرؤسـاء بجلـب الآف المتطـوعين ، امـا جلالـة الأميـر فقـد ظهـر بمظهـر المجاهـد المفـادي وذهـب بنفسـه الى الجـامع الامـوي وخطب في الناس حاثا على الجهاد والتطوع في الجيش قائلا:

" إنني ذاهـب امـامكم فـإذا قضـيت نحبي يمكـنكم أن تجـدوا مـن يقـوم مقـامي أمـا الـوطن فإنـه إذا دخـل تحـت نيـر الاسـتيلاء لا تسـتطيعون إنقاذه ولا بشق الأنفس "

إنتشـرت كلمـة التطـوع في الـبلاد وظهـر الحمـاس وكـان على رأس هـذا الـرأي وزيـر الحربيـة يوسـف العظمـة، الـذي عمـل على جمـع مـا تبقـى مـن الجـيش مـع مئـات المتطـوعين والمتطوعـات الـذين إختـاروا هـذا

القـرار وذهبـوا معـه الى صحراء ميسـلون للقتـال مـن أجـل النصـر او الشهادة .

- الـوزير يوسـف : الكـل يتحـرك بسـرعة لازم نجهـز المعـدات قبـل وصـول الجـيش الفرنسـي ... بسـرعة تحركـوا .. جهـزوا المـدافع بأمـاكن متباعـدة عـن بعضـها .. كـل واحـد يحمـل بارودتـه عضـهره بسـرعة .. ويتأكـد مـن الـذخيرة والعتـاد .. تحركـوا (يصـرخ) وهـو يتجه نحو عبد القادر كيوان والشيخ كمال الخطيب.
- الوزير يوسف : كيف ابطال دمشق اليوم ؟؟
- الشـيخ عبـد القـادر كيـوان : الحمـد لله ، مـا كنـا بيـوم مرتـاحين اكتر من اليوم يا وزير يوسف ، الفضل لله .
- الشيخ كمال الخطيب : (يمسك كتف الوزير يوسف)
وزيـر يوسـف ... دمشـق بتسـتاهل أرواحنـا وتعبنـا ودمنـا .. صحيح عـددنا مـا بيتجـاوز الفـين جنـدي بـس النصـر مـن عنـد الله العزيـز الحكيم
- الـوزير يوسـف : بـلا شـك .. ونعـم بـالله يـا شـيخ كمـال ونعـم بـالله .. الشـام شـامنا شـام العـز شـام النخـوة والرجولـة .. انـا يـا شـيخ كمـال مـن أحـد أعـرق الأحيـاء بدمشـق؛ حي "الشـاغور منطقـة اسـمها الصـمادية ، ابـي تـوفى لمـا كـان عمـري سـت سـنين عشـت بعائلة بتحب الوطن والناس ونحنا !! (يقاطعه جندي)

الجنـــدي : ســـيدي .. ســـيدي !! الفرنســـين صـــاروا علـــى مـــداخل دمشق ، شو بتأمرنا ؟؟

- الـــوزير يوســـف ينظـــر للشـــيخ عبـــد القـــادر كيـــوان : رح نكتـــب لســـوريا مجـــد وتـــاريخ يبقـــى لاخـــر الـــدهر يفتخـــر فيـــه كـــل ســـوري ومـــارح اســـمح ينكتـــب عـــن الســـورين إنهـــم تخـــاذلوا وجبنـــوا وانهـــم ســـمحوا للاحـــتلال يـــدخل بـــدون مقاومـــة ، الـــروح بتـــرخص والشـــام غالية مالها تمن .. أللّه أكبر .

نهـض الجميـع لقتـال الفرنسـيين وبـدأت معركـة ميسـلون في السـاعة التاسـعة مـن يـوم 24 تمـوز التي خلـدتها كتـب التـاريخ بصـفحات مـن ذهب ، وكانت حالة المعركة في بدايتها حسنة

- الشـيخ عبـد القـادر كيـوان : المدفعيـة الفرنسـية عـم تتقـدم علـى المدفعيـة السـورية ، الإصـابات كبيـرة بصـفوفنا ، الـدبابات الفرنسـية عم تتقدم باتجاهنا من المحور الامامي

- الوزير يوسف : (ينهض ويركض باتجاه الجهة المقابلة)

هاجموا يا جند الشام... لا تتوقفوا عن القتال :

إرتفعـت معنويـات الجنـد بعـد سـماع كلمـات الـوزير يوسـف العظمـة كـانوا يعلمـون مسـبقاً مـا ينتظـرهم فاسـتطاعوا أن يعطلـوا مدفعيـة فرنسـية وأسـقطوا احـدى طـائراتهم فرجحـت كفـة المدفعيـة السـورية قلـيلاً إلا أن ثلـة مـن الخونـة هـاجموا ميسـرة الجـيش السـوري فقتلـوا الكثيـر مـن الجنـود وسـلبوا أسـلحتهم فغلبـت القـوة الفرنسـية علـى

القـوة السـورية في المعركـة وتسـاقط الكثيـر مـن جنـد سـوريا على الارض شهداءا الارواح فداءا عن وطنهم .

أمـا يوسـف العظمـة فلـم يعبـأ بهـذه المصـائب كلهـا ، وظـل يبـث روح الثبـات والامـل في جيشـه الـذي قصـمه الخونـة ، بـدأت المدفعيـة الفرنسـية بالتغلـب علـى المدفعيـة العربيـة، وبـدأت الـدبابات الفرنسـية بالتقـدم بإتجـاه الخـط الأمـامي العربـي في دفـاع القلـب بينمـا كـان الجـيش السـوري المـرابط على الحـدود يتراجـع منفضًـا، لـم يكن أمام أصحاب الغيرة والوطنية إلا المقاومة حتى الموت .

- الـوزير يوسـف : هـلأ رح تنفجـر الألغـام اللي زرعتهـا على مـداخل دمشـق بالمـدافع الفرنسـية ورح تشـوفوا شـو تمـن دخـولكم دمشـق .. بـإذن الله رح رجعكـم بتوابيـت خشـبية لفرنسـا .. يـالله انفجري .. انفجري .. (لم تنفجر)
- الشـيخ كمـال الخطيـب : وزيـر يوسـف .. هـدول الخونـة قطعـوا الأسـلاك يـا وزيـر يوسـف وسـمحوا للمـدفعيات الفرنسـية بـالمرور لأراضينا .

تعالـت اصـوات القصـف والنـار ، ونظـر الـوزير يوسـف للجـيش الفرنسـي ثـم إلى مـؤخرة الجـيش فـإذا بـالكثير مـنهم يفـرون هـاربين

بعيداً عن أرض المعركة ، نظر الوزير يوسف آخر نظراته للشيخ كمال

- الوزير يوسف : يبدو يا شيخ كمال سبق السيف العذل .

- الشيخ كمال الخطيب : أبداً ما رح نستسلم للفرنسين ولو كان التمن هو الموت

- الشيخ عبد القادر كيوان : الموت أرحم من سقوط البلد وسقوط دمشق بإيد المحتل .. شو رح تعمل يا وزير يوسف .. وزير يوسف (ينادي عليه) والوزير يوسف يحدق بالمدفعيات المهاجمة

- الوزير يوسف : بعرف منيح اللي لازم علي أعمله ، ورح قوم بواجبي .

- أجاب الشيخان معاً : بس يا وزير يوسف ما .. (يقاطعهما)

الوزير يوسف : للأسف .. إنه الفرنسيين يدخلوا الشام هيك (يلتفت للشيخين)

- الوزير يوسف : انا مو آسف على نفسي ، بس أسفي على الأمة اللي رح تضل سنوات هدف لكل أنواع المحن والمصايب، ورغم هيك رح استشهد وأنا مطمئن لمستقبل الأمة من اللي شفته ومن خبرتي بنفسي ومن قوة الحياة الكامنة فيها، وواثق إنه أصدقائي في دمشق ما رح يتركوا طفلتي (ليلى) ، لهيك حروح مطمئن بطريق الواجب المفروض علي (ينظر للشيخين قائلاً)

- الوزير يوسف : **الشام ما بتنذل ولا بتنضام** (ينهض وينطلق)

إنطلق يوسف العظمة منفرداً عامداً إلى بندقيته التي كانت أخر ما ملكه مصوباً رصاصته الأخيرة الى جيوش الاحتلال الفرنسية المحلقة إلا أن انتهت ذخيرته فنزل بشجاعة من مكمنه مسرعاً باتجاه جانب الطريق مكان تواجد مدفع عربي سريع الطلقات وأمر "الرقيب سدين المدفع" بإطلاق النار على الدبابات الفرنسية المتقدمة ، لكن أحد رماتها سبقه بأن أطلق عليه نيرانه مسدداً لجسده العفيف رصاصات الخيانة فخرّ يوسف العظمة شهيداً، وأسلم روحه هو والرقيب سدين المدفع الذي كان بجواره في الساعة العاشرة والنصف من صباح الرابع والعشرين من تموز 1920م رحمه الله .

أما الجنرال غورو فوقف فوق جسده ورأسه الذي ضج بالدماء ثم نظر إليه مردداً بصوت متكبر :

- «هذا الضابط الشاب كان عدوا شرساً لنا»

إستشهد العظمة في معركة الكرامة التي كانت نتيجتها متوقعة والتي خاضها دفاعاً عن شرفه العسكري وشرف بلاده ، وانتهت المعركة بعد استشهاد 400 جندي عربي، مقابل 42 قتيلاً من الفرنسيين و154 جريحاً، علماً أن عدد القوات الفرنسية كان /9/ آلاف جندي تحت إمرة الجنرال "غوابيه"، مقابل

/8/ آلاف مقاتل ومسلح نصفهم على الأقل من المتطوعين والمسلحين بأسلحة قديمة دون دبابات أو طائرات أو تجهيزات ثقيلة، بقيادة الجنرال "يوسف العظمة"، وبذلك كان أول وزير للحربية يستشهد في تاريخ سوريا.

وأما الشيخان المحترمان الشيخ عبد القادر كيوان والشيخ كمال الخطيب فقد استشهدا بيد الفرنسيين

- الجنرال غورو :

(هيا ... إحفرا قبركما بإيديكما .. هيــا)

حفر الشيخان المجاهدان قبريهما وأطلق الفرنسيون النار عليهما وهما حيان فأردوهما شهداءاً مسجيان بدمائهما الطاهرة ... رحمهما الله تعالى .

بحث الجنرال غورو وجيشه عن عائلة الشهيد يوسف العظمة وتحديداً عن ابنته "ليلى" التي غادرت إلى اسطنبول لتعيش مع أمها " منيرة" بعد إستشهاد والدها، وقد تابعت "ليلى" تعليمها وتزوجت من شاب تركي عام /1939/، وأنجبت منه ابنها الوحيد "جلال" قبل وفاتها عام /1949/ وهي في الثلاثين من عمرها) وخابت آمال الجنرال غورو عندما لم يجدها .

كما أنه لم يكتفي بما صنع فعمد بعد دخوله دمشق في 25 تموز 1920 إلى معاقبة ما تبقى من السوريين بسبب تصديهم للقوات الفرنسية في معركة

ميسلون ، فأصدر الجنرال غورو ما بين عامي 1920 و 1921 عدة مراسيم هدفها تقسيم سوريا على اساس طائفي وقد دافع غورو عن سياسته التقسيمية في الجمعية الوطنية الفرنسية بأن هذه المكونات غير متمازجة مع بعضها البعض وقد أقضت المراسيم عن إنشاء ستة دويلات مستقلة وهي:

- دولة دمشق 1920م – 1925م
- دولة حلب 1920م – 1925م
- دولة العلويين 1920م – 1936م
- دولة لبنان الكبير 1920م – 1926م
- دولة جبل الدروز 1920م – 1936م
- لواء الاسكندرون المستقل

بالاضافة للحكم بالاعدام على 150 رجلا من دعاة الإستقلال لكن الحكم لم ينفذ ولا بواحد منهم لأنهم تواروا جميعاً وتشردوا تحت كل كوكب وهذا ما كان يرجوه الفرنسيون لهم فتم لهم ما أرادو وفض حكم الملك فيصل فكانت هذه الليلة... "ليلة غزو دمشق" .

" سَنَفنَى وَكُلِ الأشْيَاءِ التِي فَوقَ التُرابِ زائِلةٌ فَانِية ، سَنَرحلُ ويَرحلُ بَعدنَا كُلُ شَيئ ، وَستَبقَى لِلحِساب فَقَط !! أعمالٌ لَنَا إختَبأت فِي الآنية"

توجه قائد القوات الفرنسية في الحرب العالمية الأولى، الجنرال هنرى غورو في النهاية نحو ضريح صلاح الدين الايوبى بطل معركة (حطين) التى وضعت النهاية الحقيقية للحروب الصليبية آنذاك ووقف أمام ضريحه قائلاً :

«يا صلاح الدين انت قلت لنا ابان حروبك الصليبية انكم خرجتم من الشرق ولن تعودوا اليه، وها نحن عدنا فانهض لترانا في سوريا.”

الملك فيصل وتحسين قدري

بين يدي هذا الرجل النبيل أسلم الملك فيصل الروح في سويسرا بعد أن سافر الملك فيصل إلى بيرن في سويسرا بتاريخ 1 سبتمبر 1933 لرحلة علاج وإجراء فحوص دورية ولكن بعد سبعة أيام توفي أثر أزمة قلبية ألمت به .

قيل وقتها بأن الممرضة التي كانت تشرف على علاجه لها علاقة بموته حيث شيع بأنه توفي بعد أن قامت بدس السم في الإبرة التي أوصى له الطبيب بها ، وقد نشرت صحف المعارضة العراقية أن الوفاة لم تكن طبيعية ، وشككت في دور بريطانيا في القضاء عليه ، ودس السم في شرابه أو في الحقن الطبية التي كانت يحقن بها ،

تقارير الأطباء السويسريين قبل وفاته بيومين أكدت أنه كان بصحة جيدة ولا يعاني من أمراض خطيرة ، ولكن تقرير الوفاة ذكر أن سبب الوفاة هو تصلب الشرايين ، وأرجعت الممرضة البريطانية التي كانت ترافقه سبب الوفاة إلى التسمم بالزرنيخ الذي أذيب في الشاي الذي شربه قبل وفاته بست ساعات، خاصة أن الأعراض التي ظهرت عليه في الاحتضار كانت أعراض التسمم بالزرنيخ .

أما تحسين قدري فقد هاجر عام 1958م وعاش في شقة صغيرة بلوزان في سويسرا ، لكن حنينه الجارف والعميق لبغداد دفعه وهو في التسعينيات من عمره ، لأن يعود إلى بغداد ليموت فيها .. فكان مثل النسور منعزلاً في قمم جبال سويسرا مع ذاكرته الغنية المفعمة بالتاريخ ، ثم عاد ليموت في آخر العمر ، في المكان الذي شهد قمة حياته ، تماما كما تفعل النسور وبنبل عجيب .

" هكذا أغلق التاريخ صفحاته على أسماء الكثير من عظماء رجال دمشق فخلدهم بين سطوره ، لتبقى سيرهم العطرة في ورود دمشق كرو ايات طويلة لن ولم تروى بعد ..... "

إنتهت الرو اية ..

المراجع :

1. لبنان تحت الانتداب الفرنسي، ستيفن لونغريج، ترجمة بيار عقل، دار الحقيقة، ص.400
2. سوريا صنع دولة وولادة أمة، وديع بشور، دار اليازجي، دمشق 1994، طبعة أولى، ص./325/326/333/300/346/316/215/241/209/229/109/232/235/205/313/308/312/ 271
3. المسألة السورية المزدوجة، ميشيال كريستيان دافت، ترجمة جبرائيل البيطار، مطبوعات وزارة الدفاع، دمشق 1987. ص.44/43/41/42/325/340/350/371/361/408/45/85
4. سورية والانتداب الفرنسي، يوسف الحكيم، دار النهار، بيروت 1983، ص. /8/7/320/322/6
5. مرآة الشام ، عبد العزيز العظمة ص.267/266/265/264/256/254/253/249/248/247/243
6. الدولة العثمانية: قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، قيس جواد العزاوي، الدار العربية للعلوم، بيروت 2003، ص.70
7. عصر السلطان عبد الحميد، مرجع سابق، ص.49/33/32/178/37
8. قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، مرجع سابق، ص. 35
9. إلى جورج بوش الثاني، أمير الصوّا، دار الينابيع، دمشق 2004، ص./109
10. العلويون، آلان نيميه، مؤسسة البلاغ، بيروت 1997، ص.59
11. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، فيليب حتي، ترجمة كمال اليازجي، دار الثقافة، بيروت 1983، ص.352
12. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، مرجع سابق، ص.222/349/224/354/353
13. أنطاكية وكفاحها ضد التتريك، لواء إسكندرون، 30 يناير 2013 .نسخة محفوظة 17مايو 2017 على موقع واي باك مشين.
14. المؤتمر العربي الأول، المدرس، 30 يناير 2013 .نسخة محفوظة 08 مايو 2015 على موقع واي باك مشينو نسخة محفوظة 18 سبتمبر 2018 على موقع واي باك مشين.
15. جمال باشا السفاح، اكتشف سوريا، 7 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.

16. العربية الفتاة، دراسة وثائقية، الدرر السنية، 7 مارس 2013 .نسخة محفوظة 02 يوليو 2011 على موقع واي باك مشين.
17. المجاعة الكبرى، يا بيروت، 7 مارس 2013 .نسخة محفوظة 07 نوفمبر 2012 على موقع واي باك مشين.
18. مراسلات الحسين مكماهون، الجزيرة & التعليم ، 7 مارس 2013.
19. إرث جمال باشا السفاح، التراث العربي، 7 مارس 2013 .نسخة محفوظة 11 أغسطس 2017 على موقع واي باك مشين.
20. السادس من أيار عيد الشهداء ذكرى أول قافلة للشهداء في سبيل الحرية ما هي قصة هذا اليوم المجيد؟، 8مارس 2013.
21. محمد سعيد الجزائري، فكر & الزهراوي، 7 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
22. المملكة السورية العربية، أخبار سوريا، 7 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
23. فيصل كلمنصو، الجمل، 7 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
24. فيصل وايزمن، شام نيوز، 7 مارس 2013.
25. لجنة كنغ كراين، المصيري، 7 مارس 2013.
26. رضا الركابي، اكتشف سوريا، 7 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
27. أسماء من الذاكرة، علي رضا الركابي، صحفي، 7 مارس 2013 .نسخة محفوظة 05مارس 2016 على موقع واي باك مشين.
28. المؤتمر السوري العام، الشرق العربي، 8 مارس 2013 .نسخة محفوظة04 /06 مارس 2016 على موقع واي باك مشين.
29. الجلاء المنشود، قراءة في سيرة المرحوم الرئيس هاشم الأتاسي، معابر، 8 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
31. مقدمة الوثائق، المحامين العرب، 8 مارس 2013.

32. حق تقرير المصير، العودة، 8 مارس 2013 .نسخة محفوظة 28 مارس 2017 على موقع واي باك مشين.
33. تعريف حق تقرير المصير، الأوراس القانوني، 8 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
34. سوريا في عهد الملك فيصل، عبر، 10 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
35. هنري غورو، الموسوعة العربية، 10 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
36. اتفاق فيصل كلمنصو، الجمل، 10 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
37. رسائل الملك فيصل للملوك الغربيين، أخبار سوريا، 11 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
38. المؤتمر السوري العام وجدوى المؤتمرات، الفسطاط، 11 مارس 2013].وصلة مكسورة [نسخة محفوظة 20 يناير 2014 على موقع واي باك مشين.
39. إعلان استقلال سوريا، المركز الوطني الفلسطيني للمعلومات، 11 مارس 2013.نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين
40. عكس السير، 11 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
41. النقد السوري في مرحلة الانتداب الفرنسي، البنك المركزي السوري، 12 مارس 2013.
42. بيان وزارة الأتاسي أمام المؤتمر، الجمل، 12 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
43. حمد عزة دروزة، 1986. مذكرات وتسجيلات. الجزء الثاني. الجمعية الفلسطينية للتاريخ والآثار. دمشق.
44. مؤتمر سان ريمو، نقطة وأول السطر، 12 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين..
45. موقع الحوار المتمدن.دستور المملكة السورية تاريخ الولوج 1 حزيران 2011.نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.

46. مازن يوسف صباغ كتاب المؤتمر السوري ـ برلمان الاستقلال لبلاد الشام .موقع من فتى. تاريخ الولوج 17 كانون الثاني 2012.
47. معركة ميسلون، الجبهة الديموقراطية، 7 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
48. الملك فيصل، اكتشف سوريا، 7 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 مارس 2018 على موقع واي باك مشين.
49. الأمير محمد الفاعور، رجل في ذاكرة الوطن، سوريا الإلكترونية، 7 مارس 2013 .نسخة محفوظة 06 أكتوبر 2017 على موقع واي باك مشين.
50. بوابة إي سوريا الالكترونية
51. مقال الدكتور موفق أبو طوق في زاوية آفاق في صحيفة تشرين يوم الأربعاء 13 تموز 2005
52. مذكرات اللواء راشد الكيلاني

الفهــرس

المشهد الأول :- المملكة العربية السورية..... 05
المشهد الثاني :- الزحف والوعيد 77
المشهد الثالث :- ليلة سقوط دمشق 97

MOHAMAD ALHLWANI AUTHOR

MOHMD.ALHLWANI.OFFICIAL

دمشـق احدى اقدم مدن العالم مع تاريخ غير منقطع منذ احد عشـر الف عام تقريبا ,وأقدم عاصمة في العالم وكانت تسـمى قديما بأرض بني كنعان حين لحق قوم بني كنعان بن حام بالشـام , فسـميت دمشـق بالشام لأنهم تشاموا اليها

محمد الحلواني

ISBN-978-9933-9287-7-3